ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

٧٠ المجلد

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثالث – المجلد السبعون – شعبان ١٤٤٥هـ – مارس ٢٠٢٤م

- أبعاد المؤامرات ضد الإسلام ، وطرق التفادي منها (افتتاحية العدد)
- المسلمون في رباط دائم
- الأمانة والتكاليف
- الحياة الدنيا ومشاهد القيامة في ضوء سورة الكهف
- حقيقة الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
- لمن الحق اليوم
- دراسة تاريخية لفلسطين
- الوقف الإسلامي لبنة صلبة في البناء الحضاري الإنساني
- المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر : دراسة تحليلية
- وشهد شاهد من أهلها

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- في الهند

أربع مأة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ست مأة و عشرون(بالبريد المسجل)	٦٥٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:

٥٠ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٧٠

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

March 2024

مارس ٢٠٢٤م

العدد الثالث ـ المجلد السبعون ـ شعبان ١٤٤٥هـ ـ مارس ٢٠٢٤م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحي الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الثالث ــ المجلد السبعون ــ شعبان ١٤٤٥هـ ــ مارس ٢٠٢٤م

❖ **الافتتاحية :**

أبعاد المؤامرات ضد الإسلام ، وطرق التفادي منها — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ **التوجيه الإسلامي :**

المسلمون في رباط دائم — الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي — ٩

الحياة الدنيا ومشاهد القيامة في ضوء سورة الكهف — الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ١٤

الأمانة والتكاليف — الدكتور غريب جمعة — ١٩

❖ **الدعوة الإسلامية :**

حقيقة الإيمان بنبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ٢١

لمن الحق اليوم — الدكتور اشرف أبو أحمد — ٢٧

❖ **الفقه الإسلامي :**

الوقف الإسلامي لبنة صلبة في البناء الحضاري الإنساني — د . محمد شعيب الدين — ٣٥

العملة الرقمية البيتكوين في ميزان الشريعة الإسلامية — الدكتور خورشيد أشرف إقبال — ٤١

❖ **دراسات وأبحاث :**

نبوءة وجود سبع قارات في الأحاديث في ضوء القرآن والحديث والجغرافيا والجيولوجيا الحديثة — الأستاذ أنيس الرحمن الندوي — ٤٨

المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر : دراسة تحليلية — د . ضياء القمر آدم علي التيمي — ٥٦

دراسة تاريخية لفلسطين — الدكتور محمد سليم أختر — ٦٥

حاجة العلوم الإسلامية إلى علم القواعد العربية — الباحث صابر علي شيخ العمري — ٧٥

❖ **رجال من التاريخ :**

الدكتور ف . عبد الرحيم عالم من علماء علم الأصوات — الدكتورة سميراء محمد أجمل — ٨٣

❖ **تعريف بكتاب :**

شرح كتابي بدء الوحي والإيمان من صحيح البخاري — الأستاذ الدكتور أبي سحبان روح القدس الندوي — ٩٢

❖ **صور وأوضاع :**

وشهد شاهد من أهلها — محمد فرمان الندوي — ٩٦

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

١. المقرئ محمد وسيم إلى رحمة اللّه تعالى — قلم التحرير — ١٠٠

٢. الشودهري شرف الدين إلى رحمة اللّه تعالى — " " " — ١٠٠

٣. والد الأخ محمد أسعد الندوي إلى رحمة اللّه تعالى — " " " — ١٠١

٤. والدة الأستاذ عبد الباسط الندوي في ذمة اللّه تعالى — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أبعاد المؤامرات ضد الإسلام ، وطرق التفادي منها

تتألب المعسكرات القوية في العالم كله شرقاً وغرباً ضد الإسلام والمسلمين ، وهي تحلم بالقضاء على نور الله الذي أضاء العالم كله بإشراقاته الساطعة ، فخططت لتحقيق هذه الخطة مشاريع عملاقة ومخططات جبارة ، وقد ساعدتها الحركات الهدامة المنبثة في أرجاء المعمورة من اللوبي اليهودي ، ومنتحلي عقيدة التثليث والوثنيين المشركين ، وقد أجمعوا على ألا يبقى نظام ولا دستور ينتمي إلى الإسلام ، وله علاقة وطيدة بالكون والحياة والإنسان ، فهذا السعي الحثيث لإحباط مساعي المؤسسات الإسلامية في مجال الدعوة والفكر ، وإخراج هيبة الشريعة الإسلامية من القلوب ، والعبث بها بجميع الوسائل المتوافرة لدى زعماء هذه الجهات المعادية ، الذين لا يدخرون اليوم وسعاً في القضاء على ما يدعى بالروح الإيمانية ، والغيرة على شريعة الله الخالدة ، لا ولن ينال طريقاً إلى العمل والتطبيق بإذن الله ، لأن الله عز وجل يقول : (كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة : ٢١] .

ولما تأكد لدى هؤلاء المناوئين أن الإسلام يحث على العلم بجميع أنواعه ، ويعتبره العنصر الأساسي في بناء الحضارة الإنسانية ، والمنظومة الاجتماعية المتكاملة ، وعلموا أن علماء المسلمين هم الذين أيقظوا أوربا من سباتها ، وأثاروا في أبنائها روح العلم ، والحرص على الانضمام إلى الأمم المتحضرة ، وتقليد المسلمين الذين أضفوا على العالم الأوربي لون الحضارة الإنسانية ، وعلّموا الناس فيه طريقة العيش ، والتقدم في مجالات الحياة المختلفة ، لما تأكد ذلك لدى زعماء أوربا أنكروا هذا الجميل الذي أسدى به المسلمون إليها ، فاستخدموا سلاح العلم والثقافة نفسه لإبعاد المسلمين عن منابع العلوم والحكمة ، والعودة بهم إلى ساحة الجهل والأمية ، وتجريدهم عن لباس المعارف الإيمانية التي بوأتهم منصب القيادة في جميع مناحي الحياة ، ومنها إلى القيادة العالمية ، والتاريخ يزخر بذكر هذه الإجراءات المعادية ، التي ظهرت منهم ، يوم صمموا على إخراج المسلمين من أرض الأندلس ، وطمس المعالم الحضارية التي أثبتوها في هذا القطر الأوربي ، وذلك بالرغم من أن القيادة الإسلامية في الأندلس

هي التي أخرجتهم من الوحشية إلى الحضارة ، ومن الأمية السائدة إلى العلم والحكمة ، وهذا أول ما سجَّله قلم التاريخ من نكران وكفران ، بل وأحقاد وأضغان تكنها صدور قوم منكرين ضد من أحسن إليهم .

ولكن المؤامرة لم تنته إلى هذا الحد ، وإنما تمثلت في صور مختلفة ، ولا سيما في الحروب الصليبية ، التي كانت أوربا ابن بجدتها ، وحاولت عن طريقها السيطرة على العالم الإسلامي ، وما فيه من المقدسات والخيرات ، مع قمع جميع القوى والطاقات التي يمتلكها المسلمون بحكم من دينهم وحضارتهم الإسلامية ، وإماتة الروح الإيمانية ، التي تدفعهم إلى أداء دور العمل الاستشهادي ، والجهاد في سبيل الله ، انتصر الإسلام في هذه الظروف ، الذي كان فيها الخصم الوحيد بإزاء النصرانية الصليبية التي أضمرت أحقاداً طويلة المدى على الإسلام ، وقادته وأتباعه المسلمين ، واستهدفتهم لدى كل مناسبة سنحت لها في أي فترة من التاريخ ، ولم تبخل بتدبير مؤامرة تنال من خصائصهم وتميزاتهم الإسلامية .

لا شك أن تاريخ الإسلام يبتدئ بأهوال وتهديدات موجَّهة إلى الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، وأتباعه المعدودين ، ومن ثم اعتزم رؤساء القبائل المكية على اقتلاع جذور هذا الدين الجديد الذي كانوا يعبرون عنه بـ " فتنة " ، وحشروا جميع الوسائل للقضاء على " الفتنة " ، التي إذا لم تخمد نارها ، فستعم البلاد والعباد ، ومنذ ذلك الوقت تجمعت القوى من كل نوع ، وانتظمت مجالس التشاور لاجتثاث هذه " الفتنة " من جذورها ، تطهيراً لأرض مكة من أي دعوة تكون ضد تقاليد القوم وعاداتهم ، وقد سجل التاريخ تلك المحن الشداد والبلايا الطاحنة التي مُني بها صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام ، وأنصاره القليلون ، واستمر هذا الوضع الرهيب إلى مدة طويلة بذلت خلالها جميع الوسائل والإمكانيات لإسكات هذا الصوت الغريب للأبد ، وتطهير العقول والقلوب ، مما إذا صادفته أو صادفت جانباً من اللين نحوه ، لكن التاريخ يشهد كذلك بأن صوت الإسلام نال قوة وقبولاً واستجابةً ، ووسائل الإعلام ضعفت ، وعواطف الحقد والعناد خمدت ، وقوة الحديد والنار اضمحلت ، وتوسع نطاق الإسلام ، وتزايد الإقبال عليه ، واندحرت القوى

المحاربة ضده ، وانتشر الإسلام بقوة ، وعمت دعوته في الجزيرة العربية كلها ، وأصبحت مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة منطلقاً كبيراً واسعاً للدعوة الإسلامية .

لكن الحقد الأسود الذي امتزج بلحم ودم الكتلة اليهودية ضد الإسلام والدعوة الإسلامية ، والمنهج الإسلامي للحياة ، يتجلى اليوم في جميع الممارسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وما إليها ، بغاية من الجلاء ، وما تجتاز به اليوم من ظروف صعبة في جميع الأقطار والدول التي يسكنها المسلمون ، إنما هو جزء من المخططات اليهودية العالمية التي لا ترى بأساً في اتهام الإسلام بدين الإرهاب وتسمية الأمة المسلمة بأمة إرهابية ، ثم تبرير عمليات إجرامية لضربها واستخدام كل سلاح لتشويه صورة الإسلام أو تعديله بإخراج بعض الشرائع ، وإدخال بعض الأفكار والنظرات الوضعية التي لا تمت إلى الوحي السماوي بأي صلة .

وما يجري الآن في فلسطين من مجازر ومذابح صهيونية على أوسع نطاق من قتل وقمع وتشريد وتعذيب ، إنما هو فوق التصور ، وتقشعر منه الجلود ، وليس الغرض من كل ذلك إلا كبت العواطف الإيمانية ، وقتل الروح الدينية ، واقتلاع جذور الثوابت العقدية من القلوب ، لكن رغم هذه المحاولات لا تزال جذوة الانتفاضة تشتعل ، ويدخل اليأس والقنوط والخوف إلى صفوف القوات الصهيونية ، وقد صرح أحد أبطال قوات حماس : إن العمليات الاستشهادية والمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي مستمرة ما بقي جاثماً على الأرض الفلسطينية ، وهناك آلاف من الشباب يتغنون بنغمة الجهاد ويسجلون أسماءهم في سجل الشهداء الخالدين ، ويترقبون الشهادة في سبيل الحق ، وينتظرون الموت في سبيل الله تعالى ، إيماناً جازماً بأن الشهادة حياة ، وأن الشهيد في جنات ونعيم ، وهم يقرؤون قول الله تعالى : (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّه أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَـٰكِن لاَّ تَشْعُرُونَ) ، انظروا إلى أحد الأبطال الشهداء ، البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً ، وقع شهيداً في هذا الجهاد ، كيف ودَّع أمه بنشيد الجهاد :

أماه إني ذاهب فلتفرحي بعد المنية جنة الرحمن

وأوصى أهله وإخوانه من شباب فلسطين بتقوى الله العلي ، وقال :

أوصيكم بالصبر والتزود بالطاعة والثبات أمام العدو الحقير ، ولا تنسوا مطاردة اليهود في كل مكان ، وبذل كل شيئ من أجل تحرير المسجد الأقصى ، والأرض المباركة ، حتى يرضى الله عنا .

أنى للقوات الصهيونية وشبابها مثل هذه الدوافع الاستشهادية التي ترخص أمامها كل شيئ ، مهما كان غالياً ، وتستهين بالنفس والمال ، والأهل والأولاد ، والمستقبل في شوق الحصول على جنة عرضها السماوات والأرض ، إن هذه الصناعة الاستشهادية التي اعتنق بها شباب فلسطين الغيارى وأهلها ، وهذه التجارة الرابحة التي اشتغل بها أبطال حركة المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الغاشم أقوى من كل صناعة عسكرية ، وطاقات ذرية ، وأسمى غاية للمسلم ، وأكرم أمنية لكل فرد مؤمن ، قال الله تعالى : (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)[آل عمران : ١٣٣] .

بهذه الروح الإيمانية يمكن التفادي من أبعاد المؤامرات التي تستمر منذ أمد طويل ، وقد اختزنت ذاكرة التاريخ الإسلامي نماذج رائعة للإيمان والعمل الصالح اللذين كانا شعار الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ففتحوا البلاد ، وجابوا القارات ، ووصلوا إلى مناطق شاسعة ، لا يتصور آنذاك بفقدان وسائل الحمل والنقل ، لكن إيمانهم العميق المتغلغل في أحشاء القلوب ، واليقين الراسخ في النفوس ثبات الجبال الراسيات ، والاستماتة في سبيل الله ، وتقديم كل نفس ونفيس في سبيل الله تعالى دفعهم إلى أن يجدوا غايتهم المنشودة ، ويدركوا ضالتهم المفقودة ، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم ، وهو يبين طرق الخلاص من سيطرة المؤامرات والدسائس : (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران : ١٣٩] ، وقال في موضع آخر : (وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) [الأنفال : ٦٠] .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
٢١/جمادى الثانية/١٤٤٥هـ
٣/يناير/٢٠٢٤م

المسلمون في رباط دائم

الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

[ألقى العلامة الندوي هذه المحاضرة في جامع المظفر باليمن في ١٥/ شعبان ١٤٠٤هـ ، الموافق ١٦/ مايو ١٩٨٤م بعد صلاة المغرب في جمع حاشد ، فيه كبار العلماءٍ وأعيان البلد]

سادتي وإخواني! قد قدر الله لي تجولا في صفحات التاريخ ، وتجولاً في البلاد الإسلامية ، وهكذا وفقني الله تبارك وتعالى ، لأن أجمع بين الجولتين : جولة في التاريخ عن طريق الدراسة والمطالعة وجولة في الأرض الإسلامية بالرحلات العديدة ، والزيارات المتكررة ، فعلي حق أن أتحدث إليكم بشيئ من تجاربي وانطباعاتي ، وأن أقدم إليكم بعض ملاحظاتي وتوصياتيٍ ، وقديما قالت العرب : " الرائد لا يكذب أهله " فإن لم أكن شيئًا فإني رائدكم ، أنا رائد العالم الإسلامي كله على أساس العقيدة والإيمان ، والحمد لله ، ورائد العالم العربي ؛ لأني ألتقي معه ، وأتصل به عن طريقٍ النسب ، واللغة ، والثقافة ، وأقل واجب على الرائد ألا يخفي شيئًا من الحقائق عن الذين وضعوا فيه ثقتهم ، وقلدوه هذه الأمانة ، وهذه المسؤولية .

أيها الإخوة الكرام ! إنّي أبدأ حديثي هذا بكلمة سجلها التاريخ ، كلمة حكيمة بليغة على مدى الأعصار والأمصار ، وعلى مدار التاريخ ، كلمة قالها الصحابي الجليل والفاتح العظيم عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ، فاتح مصر ، إنَّه لما شرفه الله بإخضاع مصر ، وبالأصح إدخالها في حظيرة الإسلام ونقلها إلى ظل الإسلام الوارف ، إنَّه لما استطاع أن يفتح هذه البلاد التي استعصت على كثير من الفاتحين ، ولها تاريخ طويل في تقدم المدنية ، والحضارة ، والعلوم ، وقامت على أرضها حكومات من أقوى الحكومات ، وملكها ملوك خلّد القرآن بالذكر منهم فرعون ، لما فتح سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه ، ومعه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم عدد كبير ومن تبعهم من المسلمين ، كان له كل الحق في أن يطمئن إلى الوضع السياسي ، وإلى الوضع الاستراتيجي ، وإلى الوضع الجغرافي لما دانت له مصر بأرضها ، وخصبها ، وغلاتها ، وخيراتها ، حتى وثقافتها ،

وحضارتها ، ولغتها ، تعلمون جميعاً أن مصر من البلاد السعيدة التي قبلت اللغة العربية كلغتها ، والخط العربي والحضارة العربية الإسلامية ، وكانت كل القرائن ، وكلُّ الشهادات تدل على أن مصر ستظل جزءاً من أجزاء الإمبراطورية الإسلامية ، وكان لا شيئ يهدد بالخطر ويشكك في مصير مصر ، فلو كان أحد مكانه من الفاتحين الكبار الذين حدث عنهم التاريخ ، لأثنى على جيشه وشهد له بالفروسية ، والعبقرية ، هنأه على هذا الفتح العظيم ، وطمأنه إلى آخر الدهر ، وقال لهم : كونوا على ثقة بأن مصر قد دانت لنا ، وخضعت ، ولا خطر ولا خوف ، انعموا في ظلالها ، واشربوا من ماء النيل ، وسيحوا في الأرض كما شئتم وابنوا فيها قصوراً مشيدة ، واسكنوا فيها كأبناء البلاد ، وسادة البلاد ، وحكامها .

ولكنكم تعلمون ماذا قال هذا الفاتح العظيم ؛ الذي شرّفه الله بصحبة النبي الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وألهمه الحكمة والفراسة المؤمنة الصادقة التي حدث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " ، ماذا قال سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه ؟ قال : " إنكم في رباط دائم لكثرة الأعداء حولكم ، وتصرف قلوبهم إليكم " . إنه قال لهم : لا تخلدوا إلى الراحة ، ولا تضعوا السلاح ، ولا تعتبروا نفوسكم قد نفضتم غبار الغزو ، فلكم الآن كل حق في أن تعيشوا عيشة الفاتحين الحكام ، لا ! إنكم في رباط دائم ، أنتم محاطون بالأعداء كاللسان في الأسنان ، أنتم حفنة بشرية ، ونقطة مغمورة في هذا البحر الطامي من الأجناس والديانات والحضارات في قارة إفريقية التي تكاد تكون عالماً بمفرده ، فلا مساغ لكم في أن تخلدوا إلى الراحة ، وأن تناموا نوم الفاتحين على أسرة الملوك الباذخين .

هذه وصية وصّى بها سيدنا عمرو بن العاص رضي اللهِ عنه ، يجب أن يحفظها المسلمون ، ويجعلونها نبراساً لهم ، ودستوراً لهم في الحياة ، إنَّ محنة الشعوب الفاتحة والأسر الحاكمة أنها تبدأ حياتها بالتقشف ، والفروسية ، والمغامرات ، وتنتهي بها – في فترة قد تطول أحياناً ، وتقصر أحيانا – إلى حياة النعومة والفسولة [1] ، وفاكهة وشراب ، وعزف ، وقصف ، كما قال الشاعر العظيم الدكتور

[1] فسل فسلاً وفسولةً أي : ضعيفاً ، لا مروءة له ، ولا جلد .

محمد إقبال : " أنا أحكي لك قصة الفتوح ، وقصة الحكومات ورجالها في لفظ وجيز : إنهم يبدؤون بالسيف والسلاح وينتهون إلى المزمار والغناء ، تلك بدايتهم ، وهذه نهايتهم ، هذه قصة جميع الحكومات التي قامت على أكتاف هؤلاء الشبان المتقشفين ، الزهاد ، المغامرين بالنفس والنفيس ، وإلى أي شيءٍ انتهت هذه الحكومات ؟ انتهت هذه الحكومات إلى ملوك مرفهين باذخين ، قد استحوذ عليهم الشيطان واستهوتهم المادة والشهوات ، وجنَّ جنونهم ، وتفننوا في الألعاب ، والأغاني ، وفي المطاعم ، والمشارب ، وأبعدوا النجعة ، إنَّ القائد الحكيم سيدنا عمرو بن العاص نصح العرب الفاتحين لمصر بأن لا يشتغلوا بالدواب الفارهة ، والقصور الباذخة ، وبالمطاعم اللذيذة الخيالية ، كأنه قال لهم : لا تعيشوا عيشة " ألف ليلة وليلة " ، عيشوا عيشة جد وصرامة ، عيشة فروسية ورباط ، عيشة مجاهدين مناضلين .

اقرؤوا يا إخواني ! تاريخ الحكومة المغولية في الهند التي كانت أكبر الإمبراطوريات في القرن العاشر الهجري على وجه الأرض ، وكانت تلي الدولة العثمانية فقط ، كانت بداية هذا الأمر من " ظهير الدين بابر " ، وكانٍ من الشدة والقوة أنه كان يحمل رجلاً على كتفه اليمنى ، ورجلاً على كتفه اليسرى ، ويمشي على السور العالي ، بعد ذلك ، انتقلت الحكومة إلى ابنه نصير الدين " همايون " استمر على شيئ من الفروسية مع شيئ من تنعم الملوك ، ثم انتقلت الحكومة إلى نجله " جلال الدين أكبر " فكان كذلك ، وكان يقود الجيوش الجرارة ، ثم انتقلت إلى ابنه " نور الدين جهانكير " فتنعم ورقّ أكثر ، حتى وصل الأمر بعد الإمبراطور شاهجهان الذي بنى " التاج محل " في آكره إلى ابنة الملكٍ الصالح السلطانٍ محيي الدٍين أورنك زيب عالمكير ، وكان فارساً ، وقائداً محنكاً ، وزاهداً اعتبره بعض المؤرخين سادسٍ الخلفاء الراشدين ، ثم دب الوهن في هذه الأسرة ، فكانوا مثالاً في الترف ، والبذخ ، وحكاياتهم تشبه الخيال ، فلا يصدِّق الإنسان أن الإنسان يبلغ إلى هذا التفنن الخيالي وإلى هذا الغرام بالملاذ والأغاني ؟ فخسروا الدولة ، وضيعوا الملك .

وأنتم يا إخواني العرب ! تعيشون في قطعة من الأرض تتجه إليها الأنظار لأسباب لا أستطيع أن أشرحها الآن ، ويعرفها المتبصرون

الدارسون ، أنتم تعيشون في قطعة قد ركز الأعداء كل جهودهم ، وكل ذكائهم وكل مخططاتهم على إزالتها عن رسالتها وعن شخصيتها الإسلامية العربية ، وعن قيادتها للعالم الإسلامي ، هذه مؤامرة من أخطر المؤامرات التي عرفت في التاريخ ، إنَّ الشعوب على الرغم مما عندها من نظريات مختلفة قد تكون متناقضة تلتقي على نقطة واحدة ، وهي : القضاء على مكانة الجزيرة العربية ، وقطع صلتها عن الإسلام ، هذا أقوله لكم كرائد لا يكذب أهله ، كرجل زار أوربا وأمريكا ، واطلع على كتب المستشرقين ، وهو متتبع لما يقال وينشر ، ويكتب هنالك ، ثم أقول لكم في ضوء معلوماتي وفي ضوء مشاهداتي : إنه ليس للعالم الخارجي والشعوب والحكومات البعيدة عن هذه الجزيرة هي التي تشكل الخطر على كيان هذا الجزء من الجزيرة العربية وشخصيته ، بل إنكم محاطون بدعوات مناهضة للإسلام ، ومعسكرات تقوم على فلسفات تتناقض مع الإسلام ومع مقومات شخصيتكم ، وجوهر رسالتكم ، ومركزكم في العالم ، فأنتم لا يسوغ لكم أبداً أن تخلدوا إلى الراحة ، وأن تعيشوا عيشة المنعمين المترفين ، أقول لكم بصراحة : الترف هو العامل الأكبر لهدم الحكومات ، وانقراض المدنيات ، وسقوط المجتمعات ، وهو الذي ذمه القرآن ، فيقول : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) [الإسراء : ١٦] و " المترفون " كلمة قرآنية تتكرر وتتردد في القرآن ، وهو يقول : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) [القصص : ٥٨] ، الترف والبطر من أقوى العوامل الحضارية ، والنفسية ، والخلقية التي قد قضت على الحكومات المسنة ، الطويلة ، وعلى المدنيات المزدهرة بالزوال ، فلا بد أن ترجعوا إلى حياة البساطة ، وشيئ من التقشف ، لا أقول لكم عيشة البدو ، والأعراب الأولين ، وكلوا لحوم الإبل ، واشربوا ألبان الإبل ، ولا تتمتعوا بشيئ مما أنعم الله به عليكم ، لا ! أنا لا أدعو إلى الرهبانية ، فلا رهبانية في الإسلام ، وأنا لا أدعو إلى تقشف غير طبيعي ، ولكن إلى شيئ من التقشف ، إلى شيئ من البساطة ، تحرروا من عاداتكم التي لا تتصورون الحياة واللذة بغيرها ، إنني لا أسمي هذه العادات ، وهذه الهوايات ، ولا أحددها ، فأقلل من قيمة حديثي المبدئي العام ، إنما أتركه إلى ذكائكم ، ومعرفتكم بالمجتمع ، وارتباط قلوبكم به ، لا تستأسركم هذه

العادات ، والهوايات ، والأعراف والتقاليد حتى تتحكم فيكم ، وتستعبدكم . إن الأمم التي تقوم بدور بناء إيجابي وبدور يذكر في التاريخ لا تكون أسيرة لعاداتها ، ولا تكون مترفة مترفهة إلى آخر الحدود ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أبو الأمة ومربيها ، كان يقول للمسلمين : " تمعددوا ، واخشوشنوا ، واخلولقوا ، وانزوا على ظهور الخيل نزوا " ، يجب عليكم أن تحمدوا الله على نعمه الكثيرة ، وتشكروها وتقدروها قدرها ، ولكن لا تلينوا الحياة ، ولا ترقوها إلى حد لا يمكنكم أن تواجهوا فيه أي محنة وأي شدّة . إنه يا إخواني ! ليس عصر " ألف ليلة وليلة " ، ليس عصر الأغاني ؛ الذي ألفه أبو الفرج الأصفهاني ، ولا عصراً خيالياً ، إنما هو عصر صراع الطاقات الكبيرة ، والمعسكرات العظيمة المقررة للمصير ، أنتم بين فكي الأسد ، أنتم بين طبقتي الرحى ، لسان بين الأسنان ، وأنتم لا بد لكم أن تحسبوا لهذا الزمان ، ولهذا المكان ، ولهذه الأحوال ، ولهذا الوضع القاسي ، ولهذا الواقع المر حسابه .

هذا الذي أريد أن أقول لكم ، كان في إمكاني والحمد لله أن أزيد ثقة إلى ثقتكم ، وأن ترجعوا من هنا مرتاحين فرحين تقولون بشرنا فضيلة الشيخ بشّرنا بكذا وكذا ، وحكى لنا حكايات مثيرة ، حكايات شائقة ، لا ! هذا ليس من الأمانة ، إنَّ الإكرام الذي لقيته منكم يُملي علي أن أكون صريحاً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قرون وقرون : " ويل للعرب من شر قد اقترب " فكيف بهذا الزمان الذي هو عصر المحن ، والفتن ، وعصر العداء للإسلام ، وعصر المادية الرعناء ، والردة الفكرية ، والعقائدية ، أنتم هنا حملة أمانة كبيرة ، وورثة جيل عظيم ، ورثة العلماء الربانيين والأولياء الصالحين ، ورثة الحكام العادلين إلى قرون عديدة ، فيجب لكم أن تسهروا على هذه الأمانة ، وأن تحسبوا لها كل حساب ، وأن تنظروا إلى الواقع المحيط بكم ، تستعرضوا الوضع السياسي ، الوضع المبدئي ، الوضع الدعوي الذي تعيشونه ، ويعيشه اليمن ، وتعيشه الجزيرة العربية كلها ، وإني أهنئكم بأن الله اختار لكم هذه الأرض الطيبة ، فاحمدوا نعمة الله ، واشكروا الله تبارك وتعالى على هذه النعمة ، ولكن كونوا أكفاء هذه الوراثة ، أكفاء هذه الأمانة ، أكفاء هذه المسؤولية .

الحياة الدنيا ومشاهد القيامة
في ضوء سورة الكهف

الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله
تعريب : محمد فرمان الندوي

(وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَاة ٱلدُّنْيَا كَمَآء أَنْزَلْنَاهُ منَ ٱلسَّمَاء فَٱخْتَلَطَ به نَبَاتُ ٱلأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّياحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً) [الكهف : ٤٥] .

ذكر الله تعالى في هذه الآية أن مثال الحياة الدنيا كالماء ، تغيمت السماء ، فأمطرت ، وقد أنزله الله من السحاب ، ولم يقل الله أن المطر نزل بنفسه ، بل قال : أنزلناه من السماء ، فالماء الذي ينزل من السماء وضع الله له منافع كثيرةً ، منها أن الأرض تحمل قوة النبات بالماء ، فما أودع الله في الأرض من خيرات ، حينما يصل إليها الماء تنكشف هذه الخيرات ، فتتكثف في موضع ، أعشاب ، وتنبت في موضع أشجار ، وأحياناً تتحول هذه الأرض إلى حقول ومزارع ، ولم يأت ذلك إلا بالماء الذي خالط خيرات الأرض ، فصارت الأرض مخضرةً ، وأحياناً يُرى أن الأرض الخضراء تجف وتيبس في أقصر مدة ، الواقع أن الماء إذا لم يصل إلى الأرض في حرارة الشمس ، فتكون الأرض جافةً ، وتكون المزارع هشيماً تذروه الرياح ، ولا يبق لها عين ولا أثر ، ذكر الله في هذه الآية أيضاً أنه قادر على كل شيئ ، إذا شاء غيّره ، وإذا شاء تركه على حاله .

مثال بليغ في القرآن الكريم :

ذُكرت حقيقة الدنيا بمثال بليغ في هذه الآية ، وهذه حقيقة الدنيا أنها ليس لها بقاء ولا دوام ، فإنها تعمر وتفنى ، وتخضر وتبيد ، فإنها وإن تزينت وتزركشت ، وظهرت في ألوان رائعة ، ومظاهر جميلة ، لكن زوالها حتم لازم ، فإذا استعرضنا التاريخ الإنساني عرفنا أنه كما يكون

للإنسان عمر ، ومدة للبقاء في هذه الدنيا ، كذلك تكون أعمار الحكومات والحضارات ، فكل شيئ في الكون يحمل عمراً ، فبعض الأشياء يحمل مئآت من السنوات ، وبعضها يكون عمره خمسين سنةً ، كذلك تكون أعمار الدودات لأيام وأسابيع ، لكن أعمار الأمم والشعوب تكون مختلفةً ، فدراسة التاريخ الإنساني تكشف لنا هذه الحقيقة أن الأمم التي نحن نعرفها لم يكن لها وجود من قبل ، لكنها تطورت وازدهرت إلى مكانة مرموقة ، ثم أصيبت بالانحطاط وامحت آثارها من الأرض ، وكم من ملل ونحل نالت شهرةً فائقةً ، وفاقت حضارات العالم ، ثم اندثرت ، لأنه ليس لأي شيئ دوام في هذه الدنيا ، فكل شيئ يصير إلى ذهاب ، فكل ما يُمحى من صفحة الوجود ليس من المعقول أن يعتمد عليه الإنسان ، ويثق به ، ويعتبره شيئاً مهماً لنفسه ، فلا بد من الاعتناء والالتزام بالشيئ الذي يبقى ويدوم .

مفخرة للإنسان في الدنيا :

(ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً) [الكهف : ٤٦] .

الزينة ما أعجب به الإنسان ، وكان جميلاً ، ويمكن أن تعبر الزينة عن النعمة أيضاً ، ويفتخر الإنسان بما عنده من مال ومتاع ، ويتضمن المال كل شيئ من المسكن والطعام والشراب ، وما تهواه نفس الإنسان ، وبجنب المال والثروة يكون الأولاد أيضاً من زينة الحياة الدنيا ، فالإنسان يفتتن بهذه اللذات الدنيوية ، كيف يقضي حياة بذخ وترف ، بحيث يكون مسكنه حسناً ، ولباسه حسناً ، ويكون له أولاد ، وكان أمر الأولاد بوجه أخص مهماً بأن الإنسان في قديم الزمان حينما لم تكن له كثرة الأسلحة ، وكانت الحروب ميدانيةً ، فكانت الحاجة إلى أولاد وأفراد ، وتتوقف الحروب على الأفراد ، فإذا كان عند رجل أفراد اعتبر قوياً ، ويعرف أنه يملك عدداً كبيراً من الناس للدفاع عن نفسه ، وصيانة قومه ، وهم يدافعون عنه ، فإذا لم يكن عنده أولاد فكيف يدافع عن نفسه ، فكانت للأولاد أهمية كبرى في ذلك الزمن ،

فالإنسان يكون محفوظاً بأولاده ، ويكونون قرة عين له ، ومبعث طمأنينة وراحة قلبية ، هذا هو السبب فيما إذا كان المال والبنون اللذان يتمتع بهما الإنسان في ذلك الزمان ، يُعتبران من نعم الدنيا ، وكان الناس يرتعون فيهما .

أشياء ثابتة :

وردت في الآية المذكورة أعلاه عن هذه الأمور أنها فانية ، وأما الأشياء التي تبقى ، ولا تبقى في هذه الحياة الدنيا فقط ، بل ترافق الإنسان إلى الآخرة فهي الأعمال الصالحة للإنسان ، فالأعمال الصالحة هي خير عند ربك ثواباً ، وأحسن عملاً ، والأعمال الصالحة خير ، بحيث إن الإنسان يعلق منها آماله ، ولا يعلق من أشياء الدنيا آماله ، فإن أشياء الدنيا لا قيمة لها ، ولا اعتبار ، إنها اليوم باقية ، وغداً لا تبقى ، فإذا علقنا آمالنا من شيئ ، ثم خابت آمالنا كنا متأسفين ، فليس من الكياسة أن يعلق الإنسان أمله من حطام الدنيا ، بل الأشياء التي ترافق الإنسان إلى الآخرة ، وتنفعه فيها ، وتبقى معه ، وتسايره هي الأعمال الصالحة ، وهي خير أملاً .

مشاهد القيامة :

(ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً . وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً . وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَن لَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِداً . وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يٰوَيْلَتَنَا مَا لِهَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) [الكهف : ٤٦ – ٤٩] .

ذكر الله في هذه الآيات مشاهد القيامة بحيث إن الله يُسيِّر الجبال كأنها تطير طيران الطيور ، وتندثر صلابتها وقوتها ، وتكون هباءً منثوراً ، فلا تحمل قيمةً ولا وزناً ، كذلك الأرض التي نراها الآن تبدل غير الأرض ، فلا يبقى فيها شيئ ، ويجتمع الناس فيها ، ولا يغادر الله أحداً من الخلائق ، ويرى الإنسان هنا أنه عاجز كل العجز ، ولا

يملك شيئاً ، وإن أرضه جرداء قاحلة ، فلا يجد فيها شيئاً ، فيفكر في ذلك اليوم أنه أين يذهب ؟ وماذا يفعل ؟ ثم إنه يُعرض أمام الله صفّاً ، ويأتي يوم القيامة إلى ربه فرداً .

يقول الله يوم القيامة : كما بدأنا أول خلق نعيده ، أي كما كنتم صبياناً ، حفاةً عراةً غير مختونين ، كذلك جئتم إلينا خروجاً من الأرض ، فلا تملكون لباساً ، وقد زعمتم أنكم لا ترجعون إلينا ، ولا نجعل لرجوعكم موعداً أو أجلاً ، فلا عودة بعد الموت ، ولا رجعة بعد الوفاة ، ولا حساب ولا كتاب ، ولا بعث ولا حشر ، ولا سؤال ولا جواب ، ومعنى زعم بالعربية : فكرة حلم بها الإنسان ، ولا تستند إلى دليل وحجة .

أعمال خارقة للعادة :

قد سجل الملائكة جميع حركاتنا وسكناتنا التي مارسناها في حياتنا ، فتوضع هذه التسجيلات أمامنا يوم القيامة ، لنقرأها بأنفسنا ، ونعرف ماذا عملنا في الدنيا ، فلا حاجة في ذلك اليوم إلى التكلم بأدنى شيئ ، بل ينظر الإنسان كل شيئ ، ويوضع أمامه كل دقيق وجليل ، وصغير وكبير ، فكان المجرمون خائفين مذعورين في ذلك اليوم ، مما عملوا في الحياة الدنيا ، فإذا جاء كتابهم عرفوا كل ما فعلوا ، ويكونون حيارى ، وهم قائمون بين يدي الله ، ويحاسبهم الله تعالى ، ثم يقال لهم : لاحظوا أعمالكم ، وانتظروا ماذا يكون مصيركم ؟ ، فيقول المجرمون : يا ويلتى ! يا حسرتى ! ما لهذا الكتاب ، لا يغادر صغيرةً ، ولا كبيرةً إلا أحصاها ، فإنه سجل كل شيئ ، ولم يترك أمراً ما ، فكيف نعتذر ، وماذا نفعل ؟ وذكرت الآية أن كل ما عمل الإنسان من عمل في الدنيا وجده حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً ، ويكفي هذا التسجيل لإهلاك الإنسان ، فلا حاجة إلى دليل آخر في معاقبة الإنسان ، بل يقرِّر هذا التسجيل عقاب الإنسان بنفسه .

تمادي إبليس :

(وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ

لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً) [الكهف : ٥٠] .

ذكر الله في هذه الآية أساس فساد الإنسان ، وإحصائه في قائمة المجرمين أن هذا الأساس بدأ من الشيطان ، وكان الشيطان من الجن ، ففاق المخلوقات الأخرى ، وحاز حظوةً عند الله ، وكان يعيش في الجنة ، لكن صدر منه خطأ ، فاستكبر ولم يطع أمر الله ، وقد قام بتأويل استكباره تأويلاً فاحشاً ، فقال : أنا أكبر من آدم ، لأني خُلقت من نار وخُلق آدم من طين ، وهو أهون مني ، فكيف أسجد له ، لما أمر الله الملائكة بالسجود ، فسجدوا ، إلا إبليس ، ذكر الله تعالى أنه كان من الجن ، لئلا يتطرق شك إلى أنه كان من الملائكة ، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، وليست عندهم مادة للعصيان ، وخلق الله الملائكة من النور ، وهم مخلوق نوراني ، فلا يصدر منهم سوى الخير ، فكانت الحاجة إلى ذكر هذه النكتة أن إبليس كان من الجن ، وإلا يستشكل أن الملائكة كلهم سجدوا ، لكن إبليس لم يسجد ، فذكر أنه كان من الجن ، وامتنع عن السجود أمام ربه ، كأنه قال أمام أمر ربه قولاً قذراً ، فلو كان مثل هذا الكلام أمام إنسان أو مخلوق آخر لكان الأمر مختلفاً عنه ، لكنه قال أمام ربه فاستفظع الأمر .

توجيه إلى عامة الناس :

وبعد ما ذكر الله تعالى قصة إبليس خاطب الناس : هل أنتم جعلتموه قدوةً لأنفسكم ، أي أنكم تعصون الله في الدنيا ، وتستعملون نعم الله بكل حرية ، وتنسبون إلى أنفسكم أن هذه النعم من مساعينا وجهودنا ، هل تتبعون إبليس ؟ فإذا اتبعتم إبليس فاعلموا أن مصيركم مثل مصير إبليس ، أفتتخذونه وذريته أولياءً من دوني ، اعلموا أنهم عدو لكم ، وقرر إبليس منذ طرده من الجنة أنه يضلكم ، رغم ذلك كله أنتم تتبعونه أو تمشون وراءه .

وأخيراً ذكر الله تعالى أن من عمل سوءاً فقد اتخذ لنفسه بدلاً سيئاً ، أي إنه ترك الله ، واختار إبليس قريناً له ، بئس للظالمين بدلاً .

الأمانة والتكاليف

بقلم : الدكتور غريب جمعة *

ما هي الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال ؟

الأمانة هي التكاليف الإرادية المختارة ، بل يتسع مفهومها ليشمل كل ما يؤتمن عليه ويطلب حفظه ورعايته .

وهذه الأمانة عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها مع الإشفاق منها ، (والإشفاق هو الحب مع الخوف) وهذا الإشفاق هو الذي جعل الكائنات كافة تتهيب التكاليف الإرادية المختارة الذي لا يأمن مخلوق على نفسه من الانحراف عنها والتقصير فيها مادام يملك حرية الإرادة في الانقياد لها أو تركها . وهذا موطن الخوف والحذر ، وهذا الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شاني كله لا إله إلا أنت " (أخرجه أبو داود وأحمد) .

يقول الله تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [الأحزاب : ٧٢] .

والمعنى : إنا عرضنا التكاليف كلها من فرائض وطاعات على هذه الأجرام العظام ، فلم تطقها ، وأبت تحمل مسؤوليتها وخافت من حملها ، لو فرض أنها ذات شعور وإدراك ، ولكن كلف بها الإنسان فتحملها مع ضعفه وهو في ذلك ظلوم لنفسه جهول القدر مما تحمله [1] .

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أربعٌ إذا كُنَّ فيكِ فلا عليك ما فاتك من الدُّنيا : حفظ أمانةٍ وصدقُ حديثٍ وحسنُ خُلقٍ وعِفةٌ طُعمةٍ " . ومن العلماء من يرى أن الآية من المجاز أوضرب مثل .

وسواء أكان العرض حقيقةً أم مجازاً وضرب مثل ، فالمقصود من الآية بيان عظمة التكاليف وثقلها وتنبيه الإنسان لخطورة المسؤولية عنها فلا يفرط فيها وهو بين خيارين : إما العصيان فالعذاب وإما طاعته فالثواب والله غفور رحيم . (المسند : ٦٦٥٢) وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح) .

---

* جمهورية مصر العربية .

[1] التفسير المنير ، الجزء ٢٢ ، ص : ٤٥١ وما بعدها .

أما التكاليف الجبرية القائمة بالأكوان كافة ، فليس وراءها تبعة ، لأن الجبر هو إنابة فطرية في الكائن فلا يخشى منه أي إعراض أو تقصير في حقها . بل يأتيها طائعاً مختاراً فرحاً بها ، وهذا يفسره قوله تعالى : (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فقال لَهَا وَلِلأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ) [فصلت : ١١] .

ومن أجل ذلك فالأمانة أمرها خطير ، وشأنها عظيم ، فينبغي لهذا الإنسان الذي يملك حُرية الإرادة في الأخذ بها أو الإهمال فيها أن يكونا مطيعاً مقبلاً عليها حفياً بها مقدراً لنتائجها الكبيرة المباركة التي تحصل له بسبب الإقبال عليها والأخذ بها .

نعم . . . هناك من يعرض عنها بحكم حُرية الإرادة المختارة ، هذه الإرادة الجزئية التي جعلها الله لامتحان عباده واختبارهم وهم صنف من الإنس والجن .

وفي شأن الفريقين يقول الله تبارك وتعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ) [الحج : ١٨] . ويقول تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَئِكَ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ) [الأعراف : ١٧٩] .

فأنت ترى أن جميع الأكوان بأجرامها وكائناتها يسيرها الجبر الإلهي ، ما عدا البشر الذين مُنحوا حُرية الإرادة لذلك ذكر منهم من أطاع وانقاد وآمن وأتمن وأدركه الرشد الخير المبارك . وهؤلاء كثير .

وكثير أبت نفوسهم إلا غروراً وعصياناً وسيراً وراء أهوائهم وشياطينهم . وقد أطلق على المطيعين كثيراً مع أنهم الأقل تمجيداً لهم وتنويها بشأنهم وإعلانا عن قبول أعمالهم وإقبالهم على ربهم .

وهذه الآية تشير إلى رحمة الله بعباده الصالحين ورفع قدرهم وإشعارهم بأن لهم الحسنى وزيادة ، وإن قلوا في أعين الناس فهم عنده جل جلاله كثير .

ولذلك لا مناقضة بين هذه الآية وقوله تعالى : (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) [الأنعام : ١١٦] . وقوله : (وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) [الأعراف : ١٠٢] .

لأن المقام هنا لبيان الفريقين في علم الله الأزلي .

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الإحسان في أداء الأمانات التي بيننا وبين الله والتي بيننا وبين خلق الله .

حقيقة الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي
تعريب : الأخ نعمت الله قاسم الندوي

إن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم الذي جعلنا الله تبارك وتعالى من أمته سيد الأنبياء والمرسلين ، ورسالاته وتعاليمه خالدة شاملة للعالم أجمع ، وقد ختم الله به الرسالات السماوية ، فانتهت إليه سلسلة الوحي الإلهي ، ولن تمتد إلى أحد ، فمن ادعى أنه ينزل عليه الوحي أو أن إلهامه في منزلة الوحي مما يجب اتباعه فإنه كذوب ومضلل .

وكانت الإنسانية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم مثخنةً بالجروح ، وكانت تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وكادت تهلك ويطوى بساطها وتغشاها غاشية من الكفر والوثنية والضلال والظلام ، فضلت سواء السبيل ، وكانت في حاجة أكيدة إلى من يأخذ بيدها من تلك المستنقعات الآسنة إلى منبع الحق والنور والهدى . فبُعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

فمن مآثره عليه الصلاة والسلام أنه أقر المثل الخلقية العليا وأثبت كرامة الإنسان ، مهما كان نوعه وطبقته وأصله وجنسه ، وسعدت البشرية عن طريقه بهداية ربانية أخيرة بعد فترة طويلة من الزمان .

فبناءً على ما أفضل وأنعم به عليه الصلاة والسلام تعود على البشرية حقوق عديدة :

فمن أول وأعظم الحقوق الواجبة على الإنسانية تجاه النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤمن بما جاء به وتصدق ما قاله ، وتعتقد أنه رسول الله ونبيه ، وتقر بذلك كله بلسانها ، فإن المسلم لا يكون مسلماً في معنى الكلمة إلا أن يؤمن بالله وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام .

ويذكر القرآن ذلك ويأمر به في مواضع شتى ، فيقول : (فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ) [التغابن : ٨] . ويقول : (إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ [الفتح : ٨ – ٩] . ويقول : (فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [الأعراف : ١٥٨] .

وأوضح كذلك أنه يجب الجمع بين الإيمان بالنبي محمد صلى اللّه عليه وسلم والإيمان باللّه تبارك وتعالى ، فمن لم يفعل ذلك فلا عبرة لإسلامه شيئاً ، فيقول تعالى : (وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً) [الفتح : ١٣] .

ويعني الإيمان تصديق رسالة النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم ونبوته ، وتصديق كل ما جاء به ، ولابد أن يكون هذا التصديق بالقلب واللسان .

فنذكر بإسهاب فيما يلي الأمور التي لابد من الالتزام بها والتي يندرج كلها في عقيدة النبوة .

عبد اللّه ورسوله :

سيدنا محمد – صلى اللّه عليه وسلم – عبد اللّه ورسوله ، وقد أوضح ذلك مؤكداً : " إنما أنا عبد اللّه ورسوله ، فقولوا عبد اللّه ورسوله " . (مسند أحمد : ٣٩٨) .

وقد استعملت له كلمة العبد بمناسبة ذكر حدث الإسراء ، فيقول تعالى : (سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى) [الإسراء : ١] .

قد استعمل اللّه له كلمة العبد في أماكن متعددة من كلامه المجيد ، فيقول جل وعلا : (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِه مَآ أَوْحَىٰ) [النجم : ١٠] ، ويقول : (وَأَنَّهُ لَّمَا قَامَ عَبْدُ ٱللَّه يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْه لِبَدا) [الجن : ١٩] ، ويقول : (وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) [البقرة : ٢٣] .

وقد قدّم رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – بنفسه ذكر عبوديته على ذكر رسالته ، فإن الإنسان يبلغ مراقي الكمال بقدر ما يبلغ مراقي العبودية ، وقد بلغ – صلى اللّه عليه وسلم – من العبودية مقاماً رفيعاً لم يبلغه أحد قط ، ولن يبلغ ما تعاقب الليل والنهار .

سيد الأنبياء والمرسلين :

إنه – عليه الصلاة والسلام – سيد الأنبياء والمرسلين . وقد ورد في حديث صحيح أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – قال : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع " . (صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب تفضيل الأنبياء على جميع الخلائق : ٦٠٧٩) .

وفي رواية أخرى : " أنا سيد الناس يوم القيامة " . (صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها : ٥٠١) .

وفي رواية كنز العمال ورد باختلاف الألفاظ : " أنا سيد المرسلين إذا بعثوا " .

أحب الخلق إلى اللّه تعالى :

وقد خص اللّه نبيه بحبه الفريد ، فقد أحبه أكثر من جميع الخلائق ، وجعله حبيبه وخليله ، ولم يبلغ هذه المنزلة السامية العلية غيره ، وقد جاء في حديث أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – كان يذكر ذات مرة مناقب الأنبياء ، فقال :

" وأنا حبيب اللّه ولا فخر ، أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح اللّه لي فيدخلنيها ، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر " . (سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي : ٣٩٧٦) .

وقد تمتع من عند اللّه تعالى بالخلة كما تمتع بالحب . فقال عليه الصلاة والسلام : " إن اللّه تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً " . (صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور : ١٢١٦) .

هكذا أكرمه اللّه سبحانه وتعالى بمقام الخلة الذي وهبه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من قبل .

إلى جانب هذه الفضائل العظمى والمراتب العليا يحتل النبي صلى اللّه عليه وسلم مكانةً عظيمةً من الحب يتميز بها عن غيره من الخلق أجمعين .

خاتم الأنبياء والمرسلين :

إنه خاتم النبيين ، فقد ختمت به سلسلة النبوءات والرسالات ولا يأتي بعده نبي أو رسول . يقول اللّه تعالى : (وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّه وَخَاتَمَ ٱلنَّبِـيِّينَ) [الأحزاب : ٤٠] ، وفي حديث صحيح قال عليه الصلاة والسلام : " إن لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي يمحو اللّه بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب ، والعاقب الذي ليس

بعده أحد " . (صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه صلى اللّه عليه وسلم : ٦٢٥٢) .

رسول العالمين :

لقد بعث صلى اللّه عليه وسلم نبياً ورسولاً لكافة الإنس والجن ، يقول تعالى : (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً) [سبأ : ٢٨] .

(قُلْ يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) [الأعراف : ١٥٨] ، (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ) [الأنعام : ١٩] .

وقد قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : " كان النبي يبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى الناس عامةً " (صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب حدثنا عبد اللّه بن يوسف : ٣٣٥) .

وقال صلى اللّه عليه وسلم – في حديث آخر – : والذي نفس محمد بيده ! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموتوا ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار " . (صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس : ٤٠٣) .

ولا يقتصر نطاق نبوته على الإنس والجن فحسب ، بل يتجاوز إلى العالمين كافة ؛ لذلك يقول اللّه تعالى : (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء : ١٠٧] . (قُلْ يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) [الأعراف : ١٥٨] .

تحذير الكافرين :

لقد أعلن اللّه سبحانه وتعالى عن نبيه – صلى اللّه عليه وسلم – بصراحة كاملة أنه مرسل من اللّه ، وأن ما جاء به حق من عند اللّه سبحانه وتعالى ، لا مجال فيه للشك ، فماذا ينتظر الكافرون والجاحدون ، وقد جاءهم الحق الذي نيطت به سعادتهم . يقول اللّه تعالى : (يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ) [النساء : ١٧٠] .

ففي الآية الكريمة أخبرهم اللّه تعالى ثم أمرهم بالإيمان باللّه ونبيّه ، ثم حذّرهم بأسلوب التهديد قائلاً : (وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) [النساء : ١٧٠] .

فأوضح تعالى في الآية الشريفة أنه مالك لما في السماوات والأرض ، وهو يتصرف فيها كما يشاء ، فإذا أراد معاقبة العاصين وتعذيب

الجاحدين فلا مانع له ولا رادع ، هذا في جانب .

وفي جانب آخر توعد بأنهم لا يستطيعون أن يهربوا من اللّه وينجوا مما أعد لهم من عذاب شديد وعقاب أليم إذا أعرضوا عن الحق . وأوضح كذلك أن كل ما يفعله لا يخلو من حكمة ومصلحة .

وفي ذلك إشعار لهم بأن يصلحوا أنفسهم وأن يجبروا ما تسرب في اعتقادهم وإيمانهم من ضعف ونقص وفساد وانحراف . وأن يؤمنوا بالنبي الصادق الأخير ، فإن نجاحهم معقود بذلك . وإن خالفوا ما جاء به من الحق القاطع من عند اللّه تعالى خابوا وخسروا خساراً مبيناً .

وفي آية أخرى شدد على التحذير قائلاً : (وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً) [الفتح : ١٣] .

وصف الإيمان المطلوب :

يذكر اللّه تعالى ما هو الإيمان الحقيقي ، وكيف يزيد الإيمان ويقوى وما هي متطلباته . فيقول : (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [النور : ٦٢] .

نزلت الآية في غزوة الخندق عندما كان البرد شديداً ، وبلغ الجوع والعطش من المسلمين كل مبلغ ، حتى اضطروا لربط الأحجار على بطونهم بالإضافة إلى هجمات شعواء من الأحزاب المناوئة لدين الإسلام والمسلمين . ولم يكن كل ذلك سهلاً احتماله وهيناً اصطباره .

وإنما كانت هذه المحنة العظيمة ليميز اللّه بها المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ، فثبت المؤمنون وانسحب المنافقون متعللين بحجج متنوعة ، فاستوفى المؤمنون الصادقون المعيار المطلوب ، ومهما كانت الحاجة ملحةً ، لم يذهبوا حتى يستأذنوا فيها رسولهم – عليه الصلاة والسلام – .

فأوضح تعالى في الآية الشريفة أن الصمود والثبات واتباع النبي صلى اللّه عليه وسلم وعدم التنكب عن أمر من أوامره في أحرج الأوضاع وأضيقها ولو للحظة من مقتضيات الإيمان المطلوب .

ثم لابد أن يكون هذا الإيمان قوياً ، وبعيداً عن كل ريبة ،

ويستطيع حملة هذا الإيمان بفضل قوته وصلابته أن يقاسوا جميع المحن والشدائد ويكابدوا كل ما ينزل عليهم من المصايب والنوائب .

ويذكر الله تعالى حملة هذا الإيمان قائلاً : (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ) [النور : ٦٢] .

وبين أن الإيمان المطلوب المعتبر لن يتحقق دون الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن اعتقد بالوحدانية لله تعالى ، ولكن كفر بالرسول صلى الله عليه وسلم لم يعتبر مسلماً .

ثم وصف أولئك المؤمنين الصادقين بقوله : (ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ) [الحجرات : ١٥] .

إنهم يسعدون بدرجة عالية من اليقين المتين الذي يحث صاحبه على الجهاد بالمال والنفس والإنفاق مما يحبه في سبيل الله . فيقول : (وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) [الحجرات : ١٥] .

ثم يقول : (أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ) [الحجرات : ١٥] .

ويقول في موضع آخر : (آمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) [الحديد : ٧] .

فيجب على من آمن بالله ورسوله أن يجعل الدنيا مزرعة الآخرة وينفق مما رزقه الله تعالى ، فالذين ينفقون ابتغاءاً لمرضاة الله تعالى ، أعدّ لهم أجر عظيم في الآخرة . يقول تعالى : (فَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) [الحديد : ٧] .

عندما ذكر الله تعالى في مواطن كثيرة من القرآن الإيمان به ، أتبعه بذكر نبيه أيضاً ، موضحاً أن الإيمان لا يتحقق ولا يكمل بدون الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم . ومن الظاهر أن من يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم يؤمن بكتب الله تعالى وملائكته ، ولذلك يذكر الإيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه ثلاث مرات أو أقل ، ولكن الإيمان بالله والرسول نجده مذكوراً مراراً وتكراراً فإن ذلك أساس الإيمان الذي تتعلق به العقائد الإسلامية كلها . ويجب بعد الإيمان بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام الإيمان بكتب الله وملائكته والقدر خيره وشره والبعث بعد الموت ، وذلك في الواقع مما يقوم عليه تفصيل الإيمان المجمل .

لمن الحق اليوم

بقلم : الدكتور اشرف أبو أحمد *

يختلف الناس والمجتمعات فيما بينهم على من هو على صواب ومن هو على خطأ ، ومن هو على حق وغيره على باطل ، وإزاء تمسك كل طرف بما هو عليه ، وتوهمه بأنه هو الصائب ، واستماتته في الدافع على ما يعتقده ، تبدأ بينهم المناوشات والتي قد تتصاعد إلى مشاحنات ومشاجرات ، وقد تتطور إلى معارك وحروب يرصد لها كل طرف ، ما أوتي من قوة وعتاد ، ليكبد الطرف الآخر أقصى ما يمكن من خسائر ، غير مكترث بما يسفكه من دماء ، وينتهكه من أعراض ، ويهدمه من مبانٍ ومنشآت ، يندى لها جبين الإنسانية كلها ، ويبكيه تاريخها على مر العصور ، وقد يتوقف ما بينهم عند حد التقاطع والتباغض أو كظم الغيظ والغضب الصامت ، حيث يكبت كل طرف آراءه وانفعالاته ، مؤثراً السلامة والحفاظ على علاقاته بالطرف الآخر ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . ويتبلور مثل هذا الاختلاف في كثير من أمور حياتنا الأسرية ، بل والمجتمعية فتمتد لتشمل نظام الحكم والقائمين عليه وهيئاته ومؤسساته والأحزاب من بينها ، وتطال كذلك أهل الملل والنحل ، والدول المتقدمة والمتخلفة في مجتمعنا الدولي الكبير ، لا يختلف فيها الصغير عن الكبير ، المرأة عن الرجل ، الجاهل عن المتعلم ، العاطل عن العامل ، الغني عن الفقير ، الرئيس عن المرؤوس ، وسواء كان ذلك في علياء الأمور أو سفاسفها ، والجاد منها أو الهزل .

بدايةً من الأسرة حيث يبدأ سجال بين الآباء والأبناء منذ نعومة أظافرهم ، فالطفل في إصراره على شراء لعبة أعجبته ، يظن أن الحق معه ، لأنه من حقه أن يتمتع بطفولته ، وأن على والده أن يستجيب لرغبته ، ولا يدير بالاً لظروف والده وإمكانياته المادية ، وعلى الجانب

* جمهورية مصر العربية .

الآخر يرى الأب أن لديه أولويات أهم من هذه اللعبة ، تحول دون تنفيذ رغبة الابن ، وأنه على صواب في ذلك . وهذا المراهق الذي لم يتجاوز عمره الخامسة عشر بعد ، يرى أن نظرته للحياة صائبة ، بل وأصوب وتفوق نظرة والديه ، والذي عمر أي منهما أضعاف مضاعفة عمره ، وقد شدت الحياة من عضدهما ونضجا بتجاربهما واستويا بخبراتهما ، ويستمر الحال هكذا في غالبية أمور حياتهم ، وصولاً لمرحلة الزواج ، حيث يرى كل من الابن أو البنت ، أن من حقهما اختيار شريك الحياة كما يحلو لهما ، غضين طرفهما عن قليل أو كثير من الاعتبارات ، بينما يرى الأب أنه من حقه أن يطمئن على أبنائه مع من يناسبهم وعائلتهم مادياً وخلقياً واجتماعياً ، ومثل هذا السجال يحدث كثيراً بين الزوج وزوجته ، والأخ وأخيه ، وبين الأقارب داخل الأسرة الواحدة ، وبين الجيران في المسكن أو الحي الواحد ، عند مناقشاتهما لمختلف أمور تسير معيشتهم ، كما يراها كل فرد بما يحلو له .

الطالب في المدرسة أو الجامعة لا يرضى عن المعلم ، وطريقة تدريسه ، ويظن أنه لا يعطي للمهنة حقها ، في حين أن هناك كثيراً من العوامل ، والتي لا دخل للمدرس فيها ، تجعلهم غير مهيئين لاستيعاب ما يدرس لهم ، والمعلم يرى أن مهنته لا تكفل له حياة كريمة ، فيضطر إلى جلب طلابه للدروس الخصوصية ، لتعويض ما ينقصه من حاجات معيشية ، وملزماً بتفضيل من يدفع على غيره شرحاً واهتماماً . وفي مجالات العمل المتنوعة ، يلاحظ الاختلاف بين العاملين وبعضهم ، وبين العاملين وصاحب العمل أو القائم عليه ، ومثال ذلك عندما يوقع رب العمل جزاء على مرؤوس له لأي سبب ، مثل التأخير مثلاً ، يرى أنه يحترم قوانين عمله ، ويطبق اللوائح وإذا لم يفعل ذلك يكون مقصراً ، بينما يرى المرؤوس أن رئيسه يخلو من الإنسانية ، ولا يقدر ظروفه ، وربما يكون تأخيره لسبب خارج عن إرادته . ومثال آخر حيث يرى كل عامل أن العمل لا يقوم له قائمة إلا به هو ، وعلى كتفيه هو دون غيره ، ومع ذلك يرى أن زملاءه مميزين عنه في المكافآت والمراكز ، فينتاب كلا منهم مشاعر سلبية تجاه العمل وبعضهم البعض . وفي نفس المجال نجد الصراف أو المحصل

الذي يقتطع لنفسه مبالغ قليلة من استحقاقات الممول أو المورد أو الموظف ، يظن أنه على صواب ، فهذه المبالغ ستجمل معه في النهاية مبلغاً هو في حاجة إليه ، ولن تؤثر كثيراً في أي منهم ، في حين يرى كل منهم أنه لا يستحق ذلك لأنه يأخذ راتباً على وظيفته . الطبيب عندما يغالي في تكاليف علاجه للمريض يظن أنه على صواب ، فقد اجتهد وتعب حتى وصل إلى ما هو عليه من مكانة علمية واجتماعية ، وجاء الوقت ليجني ثمار جهده ، والمريض يرى أنها مهنة سامية ، وليس بضاعة معروضة في مزاد لمن يدفع أكثر ، ومن حقه أن يتمتع بكل رعاية واهتمام ، ولا يكون حقل تجارب لصغار الأطباء وقليلي الخبرة . وينطبق هذا أيضاً على كل صاحب مهنة عندما يغالي في أجرة عمله ظناً منه استحقاقه لذلك ، في ظل ارتفاع أسعار الخامات والمنتجات ، وتزايد الطلب على حرفته ، لسعة خبرته وحسن سمعته ، بينما يظن العميل أنه يطالب بأكثر مما يستوجب ، وأن ما يقوم به لا يستحق كل هذا الأجر . وفي مجال التجارة لا يخفى على أحد حدة الجدال الدائر بين البائعين والمشترين ، على مر الأزمنة والعصور ، ودائماً وأبداً التجار في مرمى الاتهام بالجشع والطمع واستغلال الأزمات ، بينما التجار يلقون أسباب ذلك على المسئولين عن ارتفاع أسعار المنتجات الأولية سواء لقلة الناتج المحلي أو لقلة المستورد ، وغلو تكلفة الشحن والنقل والتخزين ، وزيادة أجرة العاملين في مختلف الخدمات المساعدة في نفس المجال . ولا يفوتنا التنويه عن العلاقة بين المالك والمستأجر سواء للعقارات أو للأراضي ، حيث يرى المالك أن ثبات قيمة الأجرة وكذلك التخفيضات التي تناوبت عليها ، لا تتماشى مع التغيرات الاقتصادية وفيها إجحاف شديد له ، وفي كون العقار أو الأرض استثمار له ، بينما يرى المستأجر أن ما دفعه من أجرة في الفترة السابقة يعادل بل يفوق ثمن العقار أو الأرض ، رافعا شعار الأرض لمن يزرعها والعقار لمن هو واضع يده عليه ، وفي منحى آخر نجد المختصمين في القضايا ، وهم كثر أكثر مما تستوعبهم المحاكم والقائمون عليها ، فلا يوجد بيت مدر ولا وبر إلا وله في المحاكم قضية ، كل خصم يدعي ويظن إنه على حق ، وخصمه على باطل ، وإن حكمت المحكمة لطرف

لا يرضى الطرف الآخر بالحكم ، وتظل تساوره الشكوك حول مصداقيته . وهكذا كل علاقة مهما كان نوعها تجمع بين طرفين أو أكثر يشوبها منغصات وما يعكر صفاءها ، بسبب تنازعهم للحق فيما بينهم ، فكل طرف ينسبه لنفسه ويسلبه من الآخر ، سواء بسند شرعي أو بغير سند .

وعلى مستوى الدولة ترى إنها على صواب ، فيما تفرضه من قيود على بعض أو كل الحريات المفروض تمتع مواطنيها بها ، وعلى كل ما تفرضه من ضرائب ورسوم ، لتوفير الخدمات العامة من بنية تحتية ومحطات المياه والكهرباء وإصلاح الطرق والخدمات التعليمية والصحية وغيرهم ، والمواطن يرى أن مثل هذه القيود تأتي بنتائج عكسية على استقرار البلد وحبه لها وانتمائه إليها ، ويرى فيما تجتبيه وتنفقه من أموال لا يعود عليه وعلى سائر الطبقات الفقيرة بأي نفع أو فائدة . وعلى غرار ذلك تسير الأحزاب ، فكل حزب يرى أنه على صواب في منهجه ومبادئه ، وأنه وحده يمتلك الحلول لمشاكل البلد بل وللكون أكمله ، وأنه أولى من غيره في إدارة شئون البلد ، لامتلاكه من الكوادر والشعبية التي تحقق له ذلك ، ولكن تتخذ ضده إجراءات غير مشروعة لمنع وصوله لما يستحق . والفرد عندما ينتمي لحزب يكون ولاؤه الأول والأخير لهذا الحزب ، يدافع عنه حتى إذا كان على خطأ ، غير مدرك أن هذا الحزب لم يؤسسه سوى أفراد مثله ، رأيهم يحتمل الخطأ والصواب ، وليسوا ملائكةً منزهين ، ولا يوجد فيهم أحد معصوم . وكذلك أصحاب وأهل النظريات والمناهج والبرامج الفلسفية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية ، وصفوة رجال الفكر والعلم والثقافة ، بينما تختلف اتجاهاتهم وتتباين مآربهم ومشاربهم ، حسب البيئة التي نشأوا فيها ، والطبائع التي انطبعوا بها ، والثقافة التي تحصلوا عليها ، ومن ثمة تتفاوت حدة الاتفاق والاختلاف بينهما في أطروحاتهم . تجد كلا بما لديهم فرحون ، كل من هؤلاء بما هم به متمسكون ، فرحون مسرورون يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم ، ومنهم من يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، أولئك الذين يعمرون دنياهم بخراب آخرتهم . ووصولاً لأهل الملل حيث

يعتقد كل أهل ملة أنهم أهل الإيمان وحدهم ، وغيرهم من أهل الملل الأخرى أهل كفر أو شرك ، وعدا أهل التوحيد الحق ، فهم يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق ، قال تعالى : (وَقَالَت ٱلْيَهُودُ لَيْسَت ٱلنَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَت ٱلنَّصَارَىٰ لَيْسَت ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) [البقرة : ١١٣] أي قالت اليهود ليست النصارى على شيئ من الدين الصحيح ، وكذلك قالت النصارى في اليهود ، وكل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به ، كذلك قال الذين لا يعلمون من مشركي العرب وغيرهم مثل قولهم ، أي قالوا لكل ذي دين : لست على شيئ ، فالله يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين ويجازي كلاً بعمله . وقال تعالى : (وَقَالَت ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّه وَقَالَت ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّه ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) [التوبة : ٣٠] ، والله عز وجلَّ الواحد الأحد المنفرد بالكمال ، له الأسماء الحسنى والصفات العليا والأفعال المقدسة ، لا نظير ولا مثيل له ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، لا في أسمائه ولا أوصافه ولا في أفعاله ، قال تعالى : (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) [الإخلاص : ١ – ٤] ، وزعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فرد عليهم القرآن في قوله تعالى في سورة المائدة الآية ١٨ (وَقَالَت ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللَّه وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ) بل ادعى كل من اليهود والنصارى أن الجنة خاصة بطائفته لا يدخلها غيرها ، فرد عليهم القرآن في قوله تعالى : (وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة : ١١١] ، بل وداخل الملة الواحدة افترق أهلها للعديد من الفرق ، كل واحدة منها تعتقد أنها على العقيدة الصحيحة ، ومثيلتها على العكس منها ، قال عليه الصلاة والسلام : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل : ما هي يا رسول الله ! قال عليه الصلاة والسلام : ما أنا عليه وأصحابي " .

وعلى مستوى الدول ، فمنها من يرفع شعار القوة فوق الحق ، ولا يعنيها أكانت على حق أم على باطل ، وما يعنيها هو احتلال الدول المسالمة ، والاستيلاء على أراضيها ، ونهب ثرواتها ، وإبادة أهلها أو تهجيرهم ، ومنها من يظن أنه على حق كالاتحاد السوفيتي سابقاً والذي انتهج الشيوعية منهجا له وأسلوب حياة ، وكان يعتبر القوى العظمى الثانية في العالم إلى أن انهارت الشيوعية وانهار كل شيئ معها ، واستقلت دول كثيرة عنه كل منها قائم بذاته ، والآن تظن الدول الغربية المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوربا ، وتنتهج الرأسمالية منهجاً لها وأسلوب حياة أنهم على حق ، ويبررون ذلك بتقدمهم وتفوقهم في كافة الميادين ، وخضوع كثير من دول العالم لهم ، استسلاماً أو قهراً ، ولكن الأيام دول ، فقد كانت قبلهم حضارات أقوى بكثير ، وسادت الأرض قروناً طويلة ، واستسلم لها معظم سكان العالم ، ولكنها دامت فترة ثم طواها التاريخ ، وكتب عليها النسيان ، قال تعالى : (أَفَلَمْ يَسيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذينَ من قَبْلهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ منْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِى ٱلأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسبُونَ) [غافر : ٨٢] ، وقال تعالى في سورة القصص الآية ٧٨ (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ من قَبْله منَ ٱلْقُرُون مَنْ هُوَ أَشَدُّ منْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً) ، والقرآن يكرر لنا ما شابه ذلك في قوله تعالى في سورة الكهف ٣٥ – ٣٦ (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالمٌ لِّنَفْسه قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبيدَ هَـٰذه أَبَداً . وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائمَةً وَلَئن رُّددتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجَدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً) أي دَخل إحدى جنتيه فقال : ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبداً ، وما أظن القيامة حاصلة ، ولو فرض ورجعت إلى ربي لأجدن خيراً من هذه الجنة ، عاقبةً لي ، لأنني من أهل النعيم في كل حال ، وقد عاجله الله بالعقاب ، وأحاطت المهلكات بثمار جنته ، وأهلكتها وأبادت أصولها ، فأصبح يقلب كفيه ندماً وتحسراً على ما أنفق فيها ، وتمنى أن لم يكن يشرك بربه أحداً ، ولم تكن له عشيرة تنصره من دون الله ، قال تعالى في سورة الكهف الآيات ٤٢ – ٤٣ (وَأُحيطَ بثَمَره فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْه عَلَى مَآ أَنْفَقَ فيهَا وَهىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشهَا وَيَقُولُ يٰلَيْتَنى لَمْ أُشْرِكْ برَبِّى أَحَداً . وَلَمْ تَكُن لَّهُ فئَةٌ يَنصُرُونَهُ من دُونِ ٱللَّه وَمَا كَانَ مُنْتَصراً) وهذا نفس خطاب كثير ممن يملكون القوى والثروة ويسخرون التكنولوجيا والتقدم العلمي لامتلاك

الأرض ومن عليها والكون ومن فيه ، يسيرون على نفس الدرب ظناً أن قوتهم لن تفنى ، وثرواتهم لن تباد . وهؤلاء وأولاء وأولئك إذا قيل لهم : لا تفسدوا في الأرض ، بأي صورة من صور الفساد التي يملأون أركان المعمورة بها ، كان جوابهم إنما نحن مصلحون ، هكذا يظن كل شخص بنفسه إنه هو المصلح ، وهو لا يشعر بحاله ، قال تعالى في سورة البقرة الآيتان ١١ – ١٢ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِى ٱلأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) أي أنهم يعتقدون أنهم يصلحون في الأرض ، والقرآن يصفهم بأنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون ، ويا لها من مصيبة أن تفسد في الأرض ، ولكنك لا تشعر بما تفسده ، ولا تشعر بأنك من المفسدين ، ولا تدرك من شأن نفسك شيئاً ، مع أن أثر الفساد ظاهر في العيان ، مرئي لكل ذي حس ، (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [ق : ٣٧] وعدم شعور الشخص بحاله ، ومدى شناعة فعلته ، وإحساسه بجرمه ، يصل به إلى هلاكها ، قال تعالى : (وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [الأنعام : ٢٦] ، وقال عز وجل : (وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [آل عمران : ٦٩] ، وقال جل وعلا : (وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [الأنعام : ١٢٣] ، وقال تعالى : (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ) [النحل : ٢١] ، ومن هؤلاء الناس من وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) [سورة البقرة : ٨ – ١٠] يخدعون أنفسهم وما يشعرون ، فما بالكم بشخص يخدع نفسه ، يخدعها بأن يوحي لها أنه على الحق ، وأن ما يقوم به هو الحق بعينه ، وما عليه غيره وما يقوم به هو الخطأ ، ويعتقد ذلك ويصدق نفسه ، ويعيش على ذلك ، فمثل هذا ومن على شاكلته ، شخص القرآن حالتهم بقوله تعالى (فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) هؤلاء انتكست قلوبهم وانعكست بصائرهم ، فأصبحت تعتقد وترى الفساد صلاحاً والصلاح فساداً ، والحق باطلاً والباطل حقاً ، والشر خيراً والخير شراً ، والإنسان عندما يمتلئ قلبه بالجحود والعناد لا يفيد معه أي دليل على الحق . والباطل مهما علا وطال أمده ، فسيأتي زمان يخبو فيه ويخمد ،

ويعلو الحق ويرتقى ، قال تعالى : (بَلْ نَقْذفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) [الأنبياء : ١٨] ، وقال تعالى : (وَيُرِيدُ ٱللَّـهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِه وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ) [الأنفال : ٧ – ٨] ، وقال تعالى : (لَقَدْ جِئْنَاكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) [سورة الزخرف : ٧٨] ، وقال تعالى : (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلاَدِ . كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِٱلْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ) [غافر : ٤ – ٦] .

وأخيراً : فإن الاختلاف في الرؤى طبيعة بشرية ، فكل شخص له رؤيته الخاصة للأشياء والأحداث ، تنبع من عقيدته وتربيته والبيئة التي تحيطه ، ومن الجميل أن نحترم الآراء المختلفة ، فالاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية ، وليس من الضروري أن يكون كل اختلاف سيئاً ولا كل مختلف معناً عدواً لنا ، والأصوات عندما ترتفع بالنقد والترجيح ، والتقديم والتأخير ، بل والتجريح ، مسموح به ومعفو عنه ، متى قامت على حسن نية وابتغاء مرضاة الله ، وفي إطار من الآداب العامة ، لكن أن يصفك من تختلف معه في الرأي ، بأسوأ الألفاظ ، ليس لأن رأيك خطأ أو صحيح ، بل لأنك خالفت رأيه ، فهذا من مسببات تطور وتصاعد الخلافات إلى ما لا تحمد عقباه ، وكذلك فإن احترام الشخص لذاته وفكره ولمن يحدثه ، والبعد عن الكبرياء والنظرة الدونية لمن يخالفه ، يكسبه احترام الناس ومحبتهم ولا يفقد مهابتهم له .

ومن هنا فإننا نناشد الأمة في عقلها وقلبها ، في شبابها وشيوخها ، في رجالها ونسائها ، في حكامها ومحكوميها ، في علمائها وفقهائها ، في مثقفيها ومفكريها وحكمائها ، أن يجتمعوا حول كلمة سواء ، توحد كلمتهم ، وترص صفوفهم ، وتؤلف بين قلوبهم ، لتصون للوطن حرمته ، وللناس كرامتهم وللحياة أمنها ولأمتنا حضارتها وللعالم كله السلامة والتعاون ولتحقيق الهدف الذي من أجله خلق الكون بأسره .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

الوقف الإسلامي لبنة صلبة في البناء الحضاري الإنساني

(الحلقة الأولى)

د . محمد شعيب الدين *

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين . أما بعد . فلا يخفى على الباحثين والدارسين في ميدان الحضارة الإسلامية والشئون الاقتصادية ما انفرد به الإسلام من أنظمة وقوانين وتشريعات ، وكان ولا يزال لها الأثر البالغ في تطورها وتميزها من سائر أنظمة وقوانين الأديان والأمم الأخرى ، ومن ذلك نظام الوقف الذي يكتسب أهمية بالغة بما حقق من إنجازات وإسهامات حضارية على كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية ، وما لعب من دور بارز في إحداث البناء الحضاري والتقدم العلمي والاقتصادي ، وتوفير أهم مقومات البنية الأساسية من تعليم وصحة وإسكان وطرق ، ودعم النهضة الزراعية والتجارية والصناعية ، والعمل على زيادة إنتاجية المجتمع ، ورفع مستوى التشغيل فيه ، وتحقيق الكثير من متطلبات التنمية الاقتصادية من خلال أثره البارز في إعادة توزيع الدخل والثروات ، وتكوينه لموارد مالية تسهم من خلال نفقاتها على تخفيف الأعباء الملقاة على عاتق الدولة والقيام بها وتنفيذها . ألا وهو برهان ساطع ، ودليل قاطع على المكانة الكبيرة التي حظي بها الوقف الإسلامي لدى الباحثين الاقتصاديين .

مفهوم الوقف لغة :

ذكر ابن منظور في لسان العرب : " الوقف بفتح الواو وسكون القاف ، مصدر وقف الشيئ وأوقفه بمعنى حبسه وأحبسه ، وتجمع على أوقاف ووقوف [1] . وسمي وقفاً لما فيه من حبس المال على الجهة المعينة . ويأتي الوقف لغة على عدة معان ، منها : المنع من الحركة ومن التنقل

* المحاضر بقسم الدعوة والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش .

[1] ابن منظور لسان العرب ، ط ١ ، بيروت – لبنان : دار صادر ، ج ٩ ، ص ٣٥٩ .

والتداول . ويطلق الوقف أيضاً بالمعنى المصدري على الفعل والممارسة . كما يطلق على الذي وقع عليه الوقف أي الشيئ الموقوف . ومعنى الوقف قريب جداً من معنى الحبس لغة واصطلاحاً ، بل إنهما في الاستعمال الاصطلاحي أصبحا مترادفين ، أصبحا يقوم أحدهما مقام الآخر [1] .

مفهوم الوقف شرعاً :

الوقف مصطلح فقهي شرعي يعبر به عن نوع خاص من التصدق والتبرع على سبيل الخير والإحسان ، فيطلق على الصدقات والتبرعات التي يكون لها بقاء واستمرار ، بحيث ينتفع بها الناس على مدى سنين . وهذا يعنى أن الوقف إنما يكون بأشياء يستفاد من نفعها وغلتها مع بقاء الشيئ نفسه واستمرار عينه مدة من الزمن تطول أو تقصر كالأرض والبناء والبئر والشجرة ، وكما يعبر عن هذا المعنى بالوقف ، كذلك يعبر عنه بالحبس أيضاً . فالوقف والحبس في اصطلاح الفقهاء مترادفان – كما اشرت إليه سابقاً – بل بعض الفقهاء يعتبرهما مترادفين لغة واصطلاحاً . يقول الشيخ القاضي أبو عبد الله الرصاع : " الفقهاء بعضهم يعبر بالحبس وبعضهم يعبر بالوقف ، والوقف عندهم أقوى في التحبيس ، وهما في اللغة لفظان مترادفان ، يقال : وقفته وأوقفته ، ويقال : حبسته . والحبس يُطلق على ما وقف ، ويطلق على المصدر وهو الإعطاء ، وكذلك في العرف الشرعي [2] .

اختلف العلماء في تعريف الوقف شرعاً تبعاً لآرائهم في مسائله الجزئية ، وأذكر فيما يلي أشملها : عرف العلامة الزركشي في شرح مختصر الخرقي : " الوقف هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة " [3] .

وشبيه ذلك ما جاء في فقه السنة للسيد سابق ، وفي الشرع : " حبس الأصل وتسبيل الثمرة " [4] . (أي حبس المال وصرف منافعه في سبيل الله . ويؤيد هذا المفهوم ما رواه عبدالله بن عمر – رضي الله عنه – أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أصاب أرضاً بخيبر ، فأتى النبيّ – صلى الله عليه وسلم – يستأمره فيها ، فقال : يا رسول الله ! أصبت أرضاً

---

[1] الريسونى ، ٢٠١٤م ، الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده ، ط ١ ، القاهرة – مصر ، دار الكلية للنشر ، ص ١٣ .

[2] الأنصاري ، شرح حدود ابن عرفة ، ط ١ ، المغرب ، ص ٥٨١ .

[3] الزركشي ، شرح الزركشي على مختصر الخرقي ، ج ٤ ، ط ١ ، الرياض – السعودية ، دار العبيكان ، ص ٢٦٨ .

[4] سابق ، سيد ،فقه السنة ،ط ٧ ، بيروت – لبنان ، دار الكتاب العربي ، ج ٣ ،ص ٥١٦ .

بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه ، فما تأمر به ؟ قال : " إن شئت حبست أصلها ، وتصدقت بها " وفي رواية : حبّس أصله ، وسبل ثمرته " [1] . والتحبيس من الحبس معناه المنع ، ويقصد به إمساك العين ومنع تملكها بأيّ سبب من أسباب التمليك [2] .

والمراد من الأصل : العين الموقوفة . ومعنى تسبيل المنفعة أي : إطلاق فوائد العين الموقوفة وعائداتها للجهة المقصودة من الوقف والمعنية به [3] .

أهمية الوقف في ضوء القرآن والسنة :

شرع الله سبحانه وتعالى الوقف في الشريعة الإسلامية وندب إليه وجعله قربة من القرب التي يتقرب بها إليه ، ولم يكن أهل الجاهلية يعرفون الوقف ، وإنما استنبطه الرسول – صلى الله عليه وسلم – ودعا إليه وحبب فيه براً بالفقراء وعطفاً على المحتاجين . ودلت كثير من الآيات القرآنية والسنة النبوية وأعمال الصحابة رضي الله عنهم على أهمية الوقف ومشروعيته وأنه من سبيل الله تعالى .

الأدلة من القرآن على مشروعية الوقف :

لم يرد نص صريح في القرآن الكريم حول الوقف ، وإنما جاءت فيه نصوص عامة تشمل جميع أنواع الخير والبر والإحسان بما فيها الوقف وغيره ، منها : قوله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الحج : ٧٧] ، الوقف أو التحبيس هو من أعظم أنواع الخير الذي أرشدت إليه هذه الآية ؛ لأنه يطول نفعه ويكثر المستفيدون منه عبر العصور . ومنها قوله تعالى : (لَنْ تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) [آل عمران : ٩٢] ، وأكثر ما يحب الإنسان من ماله وثروته ما يكون أصلاً ويبقى ويدوم كالدور والأراضي والأشجار وغيرها . فالآية الكريمة ترغب المؤمنين وتشجعهم على أن ينفقوا من أحب أموالهم إليهم . ومنها قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَآثَارَهُمْ) [يس : ١٢] ، فيرشد الله في هذه الآية أنه يكتب أفعال العباد ، وكذلك يكتب الآثار التي تنجم عن أفعالهم ، سواء في حياتهم أو بعد مماتهم ، وسواء كانت خيراً أو شراً . ولا ريب في أن الأملاك والأموال الموقوفة أو المحبسة

---

[1] أخرجه البخاري ، ١٤٠٩هـ ، صحيح البخاري ، ط ٢ ، القاهرة – مصر ، دار الريان (٢٧٧٢) ، ومسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، بيروت – لبنان ، دار إحياء الكتب العربية ، (١٦٣٢) باختلاف يسير .

[2] البهوتي ، كشاف القناع على متن الإقناع ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ج ٢ ، ص ٤٨٩ .

[3] المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٧ .

تبقى آثارها الطيبة بعد موت صاحبها ، ويستمر ويدوم ثوابها مادام لها نفع لأحد من عباد الله أو من عامة خلقه .

الأدلة من السنة على مشروعية الوقف :

دل كثير من النصوص الحديثية على مشروعية الوقف والندب إليه ، وأنه من سبيل الله تعالى . ومن هذه النصوص :

(١) ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له [١] .

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد حث المسلمين في هذا الحديث الشريف على أن يجعلوا لأنفسهم صدقات جارية بعد موتهم ، تعود على عموم المسلمين بالنفع وتعود عليهم بالأجر حتى بعد موتهم .

(٢) ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما " أن عمر أصاب أرض خيبر ، فقال : يا رسول الله ! إني أصبت أرضاً بخيبر ، لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه ، فما تأمرني ؟ قال : إن شئت حبست أصلها ، وتصدقت بها ، غير أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث . فتصدق بها في الفقراء وفي القربى ، وفي الرقاب ، وابن السبيل ، والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها أو يطعم صديقاً بالمعروف غير متأثل فيه أو غير متمول فيه " [٢] .

(٣) عن عمرو بن الحارث بن المصطلق رضي الله عنه قال : " ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً تركها صدقة " [٣] .

(٤) وعن أنس رضي الله عنه قال : " كان أبو طلحة أكثر أنصاري بجوار المدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه (بيرحاء) (بستان من نخيل قرب المسجد النبوي) ، فلما نزلت هذه الآية : (لَنْ تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنَ اللّهَ تعالىَ يقول في كتابه : (لَنْ تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله ، أرجو برَها وَذخرهاَ عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث شئت . . . " [٤] .

---

[١] صحيح مسلم ، (١٦٣١) .

[٢] صحيح البخاري ، (٢٥٨٦) .

[٣] صحيح البخاري (٢٧١٨) .

[٤] صحيح البخاري (١٤٦١) ، ومسلم (٩٩٨) .

(٥) عن عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس به ماء يستعذب غير بئر رومة فقال : من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة ؟ فاشتريتها من صلب مالي " [١] .

وقد روي أن هذه البئر كانت لرجل من بني غفار ، وكان يبيع منها القربة بمدّ . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " تبيعها بعين في الجنة " ؟ فقال : يا رسول الله ! ليس لي ولعيالي غيرها . فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم . ثم أتى النبي فقال : أتجعل لي ما جعلت له ؟ قال : " نعم " ، قال : قد جعلتها للمسلمين " [٢] .

ومنذ أن أرشد النبي صلى الله عليه وسلم صحابته إلى التحبيس وفضله وهم يحرصون عليه ويجعلون أموالهم وممتلكاتهم فيه حتى قال جابر : " لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذا مقدرة إلا وقف " [٣] .

ويقول الإمام أحمد رحمه الله في رواية حنبل : " قد وقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقوفهم بالمدينة ظاهرة ، فمن رد الوقف فإنما رد السنة " [٤] .

بعض الأحكام المتعلقة بالوقف :

سأتناول في هذا المبحث بعض الأحكام المتعلقة بالوقف الإسلامي من حكم الوقف وزوال ملكيته وما يصح وقفه وما لا يصح .

(أ) – حكم الوقف وزوال ملكيته :

إذا وقع الوقف على شكل تام صحيح ، فإنه يزيل ملكية الوقف عما وقفه ، وهذا مذهب جمهور الفقهاء . قال ابن قدامة : " الوقف إذا صحّ زال به ملك الوقف عنه في الصحيح من المذهب ، وهو المشهور من مذهب الشافعي ، ومذهب أبي حنيفة " [٥] .

قد اختلف العلماء في حكم الوقف هل هو لازم أم جائز ، على القولين : القول الأول : مذهب جمهور العلماء ومذهب الصاحبين بأن

---

[١] الشوكاني ، نيل الأوطار شرح متنقى الأخبار ، القاهرة – مصر ، دار الحديث ، ج ٦ ، ص ٢١ .

[٢] المرجع نفسه .

[٣] المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٢٤ .

[٤] المقدسي ، ابن قدامة ، المغني ، القاهرة : نشر هجر للطباعة ، ١٩٩٢هـ ، ج ٨ ، ص ١٨٥ .

[٥] المرجع نفسه .

الوقف لازم بمجرد صدوره من الواقف ، وليس له رجوع فيه . والقول الثاني : هو مذهب أبي حنيفة وزفر بن الهذيل بأن يجوز الرجوع فيه للواقف [1] .

والصحيح أنه لا يجوز الرجوع في الوقف بعد الإقدام عليه كما قال الإمام الشوكاني : " فالحق أن الوقف من القربات التي لا يجوز نقضها بعد فعلها لا للواقف ولا لغيره " [2] .

(ب) – ما يصح وقفه وما لا يصح :

مما لا خلاف فيه بين الفقهاء بأن الوقف يصح في الأصول مثل : الأراضي ، والأبنية ، والأشجار ، والآبار . . . ؛ لأن مثل هذه الممتلكات وردت بها نصوص شرعيّة ، ولأن خصوصية الوقف وحكمته تتحقق فيه بشكل ظاهر وتام لا غبار عليه . واختلف الفقهاء حول الأموال المنقولة كالحيوان ، والثياب ، والنقود ، والكتب ، والمواد الغذائية ، والآلات الصناعية والقتالية . . . هل يصح وقفها أم لا ؟ بل تكون صدقة عادية لا تجري عليها أحكام الوقف . والقول الجامع في هذا الباب هو ما ذهب إليه العلامة ابن قدامة حيث قال : " وجملة ذلك أن الذي يجوز وقفه ما جاز بيعه وجاز الانتفاع به مع بقاء عينه ، وكان أصلاً يبقى بقاءً متصلاً كالعقار ، والحيوانات والسلاح والأثاث وأشباه ذلك " [3] . بمعنى أن ما لا يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه كالدنانير والدراهم والمطعوم والمشروب والشمع وأشباهه لا يصح وقفه حسب قول عامة الفقهاء وأهل العلم [4] .

وقد وردت نصوص تؤيد القول بصحة وقف الأموال المنقولة التي ينتفع بها مع بقائها مدة من الزمن بالأدلة الآتية من الأحاديث : ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ، فإن شِبعه وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة " [5] .

وقد احتبس خالد بن الوليد أدراعه وأعتاده في سبيل الله . قال الحافظ ابن حجر : واستدل بقصة خالد على مشروعية تحبيس الحيوان " [6] .

(للبحث صلة)

---

[1] راجع : السرخسي ، محمد ابن أحمد شمس الأئمة ، المبسوط ، ج ١٢ ، ص ٢٨ .

[2] الشوكاني ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، ج ٦ ، ص ٢٣ .

[3] المقدسي ، ابن قدامة ، المغني ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٣١ .

[4] المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

[5] صحيح البخاري ، (١٣٣٠) .

[6] العسقلاني ، ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ط ١ ، د . ت ، ج ٦ ، ص ٩٦ .

العملة الرقمية البيتكوين

في ميزان الشريعة الإسلامية

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

بقلم : الدكتور خورشيد أشرف إقبال (لكناؤ – الهند)

حكم التعامل بالبيتكوين في الشريعة الإسلامية :

لقد اتفق فقهاء المسلمين قديماً على أن ضرب النقود وسَكِّها من حق ولي الأمر وحده ، لأنه المعنيُّ بحماية مصالح الناس وسياسة دنياهم بمقتضى الشرع الشريف ، وهو ما لا يخالف فيه رجال الاقتصاد العالمي ، ولذلك نجد أن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي حذراً من هذه العملات المشفرة ، وبينا أنها تؤدي إلى زعزعة استقرار تدفقات رأس المال ، وبالتالي قد تؤدي إلى تهديد الاستقرار المالي حول العالم .

كما أن من شأن العملة النقدية أن تتوافر فيها خصائص لا تنفك عنها ، وهي أن تكون مقياساً للقيمة ، ووسيطاً في التبادل ، وأداةً للادخار ، وتلقى قبولاً عاماً بين الناس ، وهذه العملات ليس فيها شيئ من ذلك ، فلا تسمى نقداً ؛ لأن الاصطلاح على جعلها نقداً يُقصد به أن يكون اصطلاحاً عاماً ، وتلقى قبولاً عاماً ، وليس مختصاً بطائفة . ولا تصلح أن تكون وسيطاً للتبادل ؛ لأنها لا تقبل كثمن ومثمن إلا ممن يدخل في شبكتها فقط .

وأننا ، وإن كنا نعيش في عصر التكنولوجيا الرقمية ، وفي رحاب الفضاء الرقمي الذي لا تحجبه حواجز البلدان ؛ إلا أن ذلك لا يبيح لشطار البرمجيات والتقنية أن يتحكموا في اقتصاد العالم ، أو يسلبوا أموال الناس .

ومن هنا فإن المستخدم البسيط والإنسان العادي لا يزال يقف من العملات الرقمية موقف المتردد ، فمنهم القابل المروج ، ومنهم المانع المحذر ، والقابلون ؛ منهم الرابح ، والآخر خاسر ، لشدة تعقيد هذه النازلة الدائرة بين النافع المزعوم والضرر المعلوم .

ولا شك أن عملة البيتكوين تعد مسألةً مستجدةً وحديثةً ، وقد تضاربت الآراء وافترقت في بيان حكمها الشرعي ، فمن قائل بجوازها

قياساً على العملات الورقية ، ولتعارف الناس على استخدامها والعمل بها .

ومن قائل بتحريمها لاختلافها عن النقود الورقية والذهب والفضة ، بدليل عدم اعتراف دول العالم بها بشكل رسمي وإن سمحت بتداولها .

وهناك من توقف في إعطاء الحكم الشرعي ؛ لعدم وضوح الرؤية حولها عندهم ، مع وجوب الزكاة فيها إذا ملك منها النصاب وحال عليه الحول .

ولكن لو أصبحت عملة البيتكوين وما شابهها هي العملة الرسمية لدولة معينة فلا شك في جوازها عند فقهاء العصر .

أما العملة البيتكوين والعملات الرقمية الإلكترونية الأخرى بصورتها الحالية ، فقد اختلفت الاتجاهات الفقهية المعاصرة في حكمها الشرعي ، ولهم في ذلك اتجاهان :

الاتجاه الأول : وهو قول جمهور الفقهاء المعاصرين ، والذي يذهب إلى عدم جواز التعامل بالبيتكوين وأخواتها من العملات الرقمية المشفرة ، منهم : الشيخ عبد الله المنيع ، والدكتور شوقي علامة مفتي الديار المصرية ، والدكتور عبد الله بن محمد المطلق عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية ، والدكتور علي القرة داغي الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، والدكتور أشرف دوابة والدكتور عبد الباري مشعل ، والدكتور أحمد الحجي الكردي وعطاء بن خليل أبو الرشتة وغيرهم ، كما صدرت فتاوى بعدم جوازها من دور الإفتاء والهيئات الشرعية في عدد من الدول العربية والإسلامية منها : جمهورية مصر العربية ، والمملكة العربية السعودية ، والتركية ، والإمارات العربية المتحدة ، وليبيا ، والكويت ، ولبنان ، وفلسطين ، والأردن [1] .

---

[1] انظر : البتكوين (Bitcoin) رؤية اقتصادية وشرعية ، عبد الباري مشعل ، ص ٩ ، مقالة منشورة في موقع رقابة الاستشارات المالية الإسلامية ، البتكوين ، رؤية إسلامية ، أشرف دوابة ، ص ١٣٢ ، دراسة في مجلة المجتمع بالكويت في ٢٠١٧/١١/٧م ، حقيقة البتكوين وحكم التعامل به ، عبد الله أحمد ربعي ، ص ٢٥٣٦ وما بعدها ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين ، بأسوان في عام ٢٠٢٠م ، العملات الافتراضية حقيقتها وأحكامها ، ياسر عبدالرحمن ، ص ٨٥ ، العملات الرقمية البتكوين أنموذجاً ومدى توافقها مع ضوابط النقود في الإسلام ، باسم أحمد عامر ، ص ٣٠١ ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية ، المجلد ١٦ ، العدد ١ ، مستقبل العملات الرقمية ، علي القرة داغي ، ص ٣١٠ ،

الاتجاه الثاني : القول بإباحة التعامل بالبيتكوين وأخواتها ، وهو القول الذي نقله منتدى الاقتصاد الإسلامي ، ومال إليه المفتي فراز آدم ، وصرَّح به الدكتور نايف العجمي من الكويت [1] .

الأدلة :

أولاً : استدل من قال بعدم الجواز بما يلي :

(١) قيامهما على عملية خلق النقود : فالعملات الرقمية غير الرسمية قائمة على عملية (خلق النقود) من لا شيئ ، وهو الوجه المقابل للربا ، وذلك اشترط النبي صلى الله عليه وسلم في عقد الصرف التقابض ، وهو وسيلة لمنع عملية خلق النقود ؛ كما ورد في الحديث الصحيح : " الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواءً بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف ، فبيعوا كيف شئتم ، إذا كان يداً بيد [2] .

فالربا تمنعه المماثلة ، وخلق النقود يمنعه التقابض ، وهناك ارتباط وثيق بين الربا وخلق النقود ، وكلاهما محرم في الشريعة بنص كلام النبي صلى الله عليه وسلم . كما أنه يترتب على الربا وخلق النقود من المفاسد ما يضر بالاقتصاد مما جعلهما من المحرمات في المجال الاقتصادي .

(٢) أنها مال متوهم غير حقيقي : إن عملية خلق النقود التي من

مطبوع سنة ٢٠٢٢م ، البتكوين ماهيته – تكييفه الفقهي وحكم التعامل به شرعاً ، أحمد ساحل ، ص ٣١٤ ، فتوى رقم ٨٩٠٤٣ للهيئة العامة للشئون الإسلامية والأوقاف بالإمارات ، موقع دار الإفتاء المصرية https://goo.gl/WTMpdu ، موقع دار الإفتاء الفلسطينية https://goo.gl/TEMonLu ، موقع وكالة الأناضول التركية [1] https://goo.gl/KVgoy ، https:/ fiqh.islammessage.com/newsDetails.aspx?id١٧٣٩٨ ، https://mubasher.aljazeera.net/news/economy , https://syrian.mirror.net/ar٢٠٠٢

[1] بيان منتدى الاقتصاد الإسلامي ، ص ٢٣ ، https:// goo.gl/edh KSd ، التكييف الفقهي والحكم الشرعي للعملات الرقمية المسفرة ، نائف العجمي على موقع https://www.youtube.com/watch?v=UiZxoR-K٧FE ، فتوى المفتي فراز على موقع https://darulfiqh.com

[2] رواه مسلم في صحيحه في باب الربا ، برقم ١٥٨٧ ، وأبو داود في سننه برقم ٣٣٥٠ ، وأحمد في مسنده برقم ٢٢٧٢٧ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٨٧/٥ .

أهم صورها البيتكوين والعملات المشرفة يتولد عنه مال متوهم ليس حقيقياً ، فتتكون الثروة في يد عدد محدود من الذين لهم قدرة على إيجاد البيتكوين والعملات الرقمية المشفرة ، مما يغني غنىً فاحشاً لدى هؤلاء ، وفقر لدى الطوائف الأخرى ، وهو نفس علة تحريم الربا ، كما قال تعالى : (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) [1] .

(٣) الاحتكار : كما أن تخليق العملة الالكترونية المشفرة من قبل أشخاص بدون رقابة يؤدي إلى احتكارها في عدد معين ، وكما هو معلوم أن الاحتكار في الشريعة حرام لما يترتب عليه من ضرر ، كما ورد في صحيح مسلم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يحتكر إلا خاطئ " [2] .

(٤) القمار : أن العملات الرقمية المشفرة تتعرض للتذبذب الكبير والسريع ؛ مما يجعلها نوعاً من أنواع القمار المحرم ؛ لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [3] ، وعلة التحريم من جهة كونه قماراً أنه كسب مبني على اللعب بالحظ ، فحين يشتري الإنسان البيتكوين – أو إحدى أخواتها – فإن كسبه مبني على الحظ ؛ فقد يرتفع السعر جداً ، أو ينخفض جداً ، والأصل في العملة الاستقرار والانضباط ولو نسبياً .

(٥) عدم تكييف البيتكوين ومثيلاتها من كونها نقداً ؛ لأنها – حتى الآن – ليست وسيطاً للتبادل ؛ وهي أهم وظائف النقود ، فالبيتكوين لا يتوافر فيها خصائص النقود ، التي من أهمها :

أ – أنها وحدة لقياس السلع والخدمات بوحدات نقدية .

ب – أنها وسيط للتبادل ، فمن خلالها يسهل الحصول على السلع والخدمات .

ج – أنها قابلة للادخار ، ومحفظة مالية لحفظ القيمة المالية لها .

د – أنها أداة للمدفوعات الآجلة ، فلابد من الثبات في القوة الشرائية .

والبيتكوين وأخواتها لا تتصف بهذه الصفات للنقد .

(٦) ليست سلعة : كما أن البيتكوين وأخواتها لا تعد سلعةً ، لأن

---

[1] سورة الحشر : الآية ٧ .

[2] رواه مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة ، برقم ٢٩٢١ .

[3] سورة المائدة : الآية ٩٠ .

المقصود بها التبادل وليست مقصودةً لذاتها ؛ كما هو الحال في السلع .

(٧) ليست أصلاً مالياً : فالبيتكوين وأخواتها لا تعد أصولاً ماليةً حقيقةً ، فليست هي موجودات أو أصولاً عينيةً أو خدمات ونحو ذلك .

(٨) عدم صدورها من السلطات المختصة : فهذه العملات تصدر عن جهات أو أشخاص مجهولين ، وليس من قبل الحاكم ، جاء في فتح العزيز : " ويكره للرعية ضرب الدراهم وإن كانت خالصة فإنه من شأن الإمام " [١] . ونقل جعفر بن محمد عن الإمام أحمد قوله : " لا يصلح ضرب الدراهم ، إلا في دار الضرب بإذن السلطان ؛ لأن الناس إن رخص لهم ركبوا العظائم " [٢] . ونص الفقهاء على أن لإمام المسلمين ولاية ضرب الفلوس والدراهم والدنانير للناس في دار الضرب وأن تكون بقيمة العدل في معاملاتهم تسهيلاً عليهم وتيسيراً لمعاشهم ، ولا يجوز له أن يضرب المغشوش كما لا يجوز لغير الإمام أن يضرب ، لأنه من الافتيات عليه ولأنه مظنة للغش والإفساد بتغير قيم الدراهم والدنانير ومقاديرها " [٣] .

(٩) عدم استقرار السعر : فعدم وجود الاستقرار النسبي للبيتكوين وأخواتها من العملات الرقمية غير الرسمية ، وهذا الاستقرار للعملة يحقق العدل بين البائع والمشتري ويحفظ العقود التي بين الناس خاصة في الآجال الطويلة . وقد نص عدد من الفقهاء على وجوب الاستقرار للعملة ، قال ابن أبي العز الحنفي : " أما الدراهم والدنانير فهي أثمان المبيعات ، وبها يعرف تقويم الأموال فيجب أن تكون محدودة لا ترتفع قيمتها ولا تنقض ، وقد حرم فيهما ربا النساء لما فيه من الضرر بالمحاويج ، وهو الأصل في تحريم الربا [٤] .

ويقول ابن القيم : " فإن الدراهم والدنانير أثمان المبيعات ، والثمن هو المعيار الذي به يُعرف تقويم الأموال ، فيجب أن يكون محدوداً مضبوطاً لا يرتفع ولا ينخفض ؛ إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات ، بل الجميع سلع ، وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة ، وذلك لا يمكن إلا بسعر

---

[١] فتح العزيز بشرح الوجيز ، الشرح الكبير للرافعي ١٣/٦ .
[٢] انظر : الأحكام السلطانية ، لأبي يعلى ، ص ٢٨١ .
[٣] الموسوعة الفقهية الكويتية ، ٢٥/ ١٠٥ .
[٤] التنبيه على مشكلات الهداية ، ٤١٣/٤ .

تعرف به القيمة ، وذلك لا يكون إلا بثمن تقوم به الأشياء ، ويستمر على حالة واحدة ، ولا يقوم هو بغيره ؛ إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض ، فتفسد معاملات الناس ، ويقع الخلف ، ويشتد الضرر "[1] .

ثانيا : استدل من قال بإباحتها بما يأتي :

إن الأصل في المعاملات الإباحة ، والعقلاء يختارون ما ينفعهم من المعاملات بشرط ألا يتعارض اختيارهم مع المصلحة العامة .

أن البيتكوين في حكم العملة ؛ لاعتراف بعض الدول بها ، ولأنها إن لم تكن عملة ، فهي سلة ؛ لشدة الإقبال عليها ؛ حيث إن جماً غفيراً من الناس يستخدمونها ويتداولونها ويتبادلونها .

ما روي عن الإمام مالك أنه يعتبر النقود نقوداً بالعرف ، ولو كانت جلوداً ؛ حيث قال : "ولو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى تكون لها سكة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نظرة "[2] .

البيتكوين مال متقوم شرعاً بحكم ما آلت إليه في الواقع من أنه يتملك بها كغيرها من العملات والسلع والخدمات .

إن البتكوبن يقوم بوظائف النقود أو العملات في الجملة رغم عدم إصدارها من جهة حكومية ، ولا يوجد حد اقتصادي أو شرعي يمنع البيتكوين من القيام بوظائف النقود ؛ ذلك أن إصدار النقود مصلحة تقتضيها تطورات الحياة ، علماً أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يضرب النقود ولا الصحابة[3] ، فكانت النقود تأتي من مدن بلاد فارس والروم ، وجرى التعامل بها ، وثبتت شرعيتها لدى الفقهاء[4] .

الرأي المختار :

إن البيتكوين هي عملة من العملات الرقمية الإلكترونية ، الافتراضية ، التي ليس لها وجود مادي ، وليس لها ارتباط بالمؤسسات المالية الرسمية ، ولا الجهات المعنية بإصدار العملات من المصارف المركزية ونحوها ؛ ولا يوجد لها أصول ولا أرصدة حقيقية ، ولا تحميها أي ضوابط ولا تخضع لسلطة رقابية ، وليس لها قانون ينظم إصدارها ويحميها ، حتى

---

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ١٠٥/٢ ، وفي خصوص الأدلة ينظر مراجع المانعين السابقة .

[2] المدونة ، عبد السلام سحنون ، ٥/٣ .

[3] أول من ضرب النقود هو عبد الملك بن مروان سنة ٧٦هـ .

[4] ينظر : مراجع المجيزين السابقة .

يحتكم ويحاكم إليه ، ولا يعترف بها صندوق النقد الدولي ولا البنك الدولي ، اللذان يعتبران المنظمين الدوليين للسياسة الاقتصادية والنقدية للدول في العالم ؛ الأمر الذى يجعل من المتعذر ضمانها أو متابعتها .

كما أن العملة الرقمية (البيتكوين) ليست أثماناً في ذاتها ، وهي ليست أعياناً ، ولا هي منافع ذاتية حقيقية في الواقع ، بل وليست حقوقاً متصلة بأصولها ، وإنما هي عبارة عن (حقوق منفصلة) لا يدعمها أي تتشغيل أو أصول تشغيلية حقيقية ذات منافع أصلية ، بل هي تستمد منافعها من توقعات أو احتمالات إعادة بيعها بسعر أعلى في المستقبل .

وبهذا يتضح بأن البيتكوين لا تتوافر فيها الشروط المعتبرة في العملات الحقيقية ، ولم تتحقق فيها الثمنية ؛ فهي لا تروج رواج النقود ، ولا تصلح أن تجعل منها سلعة قابلة للمقايضة بها بسلع أخرى ، ولم تحصل الثقة والاطمئنان إليها عند عامة الناس ؛ لأنه ليس لها قيمة حقيقية في ذاتها ولا في أمر خارج عنها ؛ لذلك فإنه يحتمل احتمالاً كبيراً سقوط هذه العملة – عند تعرضها لمتغيرات طارئة – تؤدي إلى تلفها وفقدانها لقيمتها ، ومن ثم فالتعامل بهذه العملة يتضمن غرراً أشد من غرر المقامرة المحرمة إجماعاً ؛ لما يؤدي إليه ذلك من ضياع حقوق كثير من الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ، كما أن التعامل بها يؤدي إلى عواقب غير سليمة ، سواء على المتعاملين ، أو على الأسواق المالية والمجتمع بأكمله ، وسواء اعتبرناها نقداً أو سلعة فالحكم يشملها في كلتا الحالتين .

أما إذا حلت عملة البيتكوين محل الأوراق المالية الرسمية وصدر القرار بالتعامل بها وتنظيمها واعتمادها من الجهات المعنية بإصدار العملة في الدولة ، وتعهدت تلك الجهات بصرفها بقيمتها من أي أنواع البضائع أو الإنتاج المحلي ، سواء كان لها رصيد من الذهب والفضة أو بأموال عينية أخرى ، أو ليس لها رصيد من الذهب والفضة أو حتى الأموال العينية ، كما هو الحال في الدولار واليورو والريال بعد انفكاك العملة عن قيمتها الحقيقية ؛ وذلك لأن الناس قد قبلوا التعامل بها كوسيط نقدي ، مع طبيعة الاستقرار النسبي له في سعر السوق ، فإن التعامل بها يكون مباحاً ، ويأخذ حينئذ حكم التعامل بالعملة المعتمدة رسمياً وقانونياً وشرعياً .

هذا ما يسّر الله لي كتابته ، فإن وفقت فالفضل والمنة لله وحده ، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان ، والله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم منه براء . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

نبوءة وجود سبع قارات في الأحاديث

في ضوء القرآن والحديث والجغرافيا والجيولوجيا الحديثة

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الأستاذ أنيس الرحمن الندوي*

التعريف الاصطلاحي للقارة والأحاديث :

قبل المضي قدماً ، من المهم معرفة التعريف الاصطلاحي والفني الجغرافي للقارة . وبالمثل ، سيكون من المثير للاهتمام معرفة ما إذا كانت هناك أي تفسيرات إضافية حول الأراضي السبعة في الأحاديث النبوية ، حتى يمكن أن تلقي مزيداً من الضوء على طبيعة وأهمية هذه الأراضي السبع ، مما يحقق الانسجام بين القارة الجغرافية والقارات المذكورة في الأحاديث .

من الناحية الجغرافية ، القارة هي قطعة أرض كبيرة وغير منقطعة تحيط بها المحيطات .

“A continent is defined as a large continuous area of land”.

" تُعرّف القارة بأنها مساحة كبيرة مستمرة من الأرض " [١] .

“A large landmass that rises above the deep ocean floor”.

" كتلة يابسة كبيرة ترتفع فوق قاع المحيط العميق " [٢] .

“Continent is a part of the earth's surface that forms one of the great dry-land masses of the world. It usually has extensive plains or plateaus and one or more mountain ranges, and is surrounded or nearly surrounded by water”.

---

* الأمين العام ، الأكاديمية الفرقانية الوقفية ، ورئيس تحرير مجلة " تعمير الفكر "، بنغالور (الهند) .

[١] World Book Encyclopaedia, Vol. ٤, P. ٣١٥

[٢] Oxford Concise Science Dictionary, P. ١٦٠, OUP, New York, ١٩٩١

" القارة هي جزء من سطح الأرض التي تشكل واحدةً من أكبر كتل الأرض اليابسة في العالم . عادة ما تحتوي على سهول أو هضاب ممتدة وسلسلة جبلية واحدة أو أكثر ، وتحيط بها المياه أو تكاد تكون محاطةً بها " [1] .

يتضح من هذه التعريفات الفنية للقارات أن كلمة قارة تنطبق على جزء كبير ومتواصل من الأرض محاط بالكامل أو تقريباً بالمحيطات . هذا التعريف للقارة يستثنى من قائمته عدد لا يحصى من الجزر الصغيرة والكبيرة الموجودة على وجه الأرض ، والتي يبلغ عددها عشرات الآلاف إن لم يكن الملايين . إن معظم هذه الجزر هي جزء من القارة الأقرب إليها وتقع على نفس الصفيحة التكتونية التي توجد عليها القارات المعنية .

ومن المثير للاهتمام ، أنه قد ورد بعض الأحاديث المتعلقة بشكل وهيئة الأراضي السبع التي تدعم هذه التعريفات الفنية للقارة . وقد أخرج أبو الشيخ عن وهاب بن منبه حديثاً في هذا الصدد . هذا الحديث على النحو التالي :

أخرج أبو الشيخ عن عبد الصمد قال : سمعت وهباً رحمه الله تعالى سئل عن الأرضين : كيف هي ؟ قال : سبع أرضين ممهدة جزائر بين كل أرضَين بحر ، إلخ [2] .

عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما : إنها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء [3] .

قال وهب بن منبة : على وجه الأرض سبعة أبحر والأرضون سبع – بين كل أرضين بحر – [4] .

إن جميع الأحاديث المذكورة أعلاه فيما يتعلق بالقارات السبع واضحة للغاية ، ولا لبس فيها في معناها . هناك بعض النقاط الهامة جداً

---

[1] Oceanography, P. ٥٣

[2] العظمة ، أبو الشيخ ، ج ٤ ، ص ١٣٩٩ .

[3] تفسير أبي السعود ، ج ٨ ، ص ٢٦٥ ، تفسير الحقي ، إسماعيل الحقي ، ج ١٥ ، ص ٤٠٥ ، تفسير البحر المديد ، ابن عجيبة ، ج ٦ ، ص ٣٥٣ .

[4] تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

مستمدة من هذه الأحاديث ، وهي كالتالي :

إن تعريف القارات الوارد في هذه الأحاديث يتوافق تماماً مع التعريف الجغرافي والتقني للقارات . توضح هذه الأحاديث بوضوح أن تلك الأراضي السبع موجودة على وجه الأرض على شكل جزر كبيرة ، أي أن كل واحدة منها محاطة بمحيط . من هذا التعريف للقارات ، تم استبعاد عدد لا يحصى من الجزر الصغيرة (التي تصل إلى عشرات الآلاف أو أكثر) من قائمتها ، لأنه لا يمكن تطبيقها على القارة ، لا جغرافياً ولا من حيث الأحاديث ، كما هو موضح أعلاه .

النقطة الثانية : أنها تنفي أن هذه القارات السبع تقع واحدة تحت الأخرى كما يظن البعض . على العكس من ذلك ، يتضح من رواية ابن عباس رضي الله عنهما أن جميع القارات السبع منتشرة تحت السماء المفتوحة . لقد شرحنا معنى آخر للأراضي السبع كونها واحدةً تحت الأخرى في نفس المقال .

الأحاديث السالفة الذكر أمثلة رائعة على تعدد وتنوع معاني كلمة " الأرض " . في الأحاديث السابقة ، تم استخدام كلمة " الأرض " في معانٍ متعددة في نفس الحديث ، بما في ذلك الغلاف الصخري وكوكب الأرض والقارة وما إلى ذلك .

تصف هذه الأحاديث وجود سبعة محيطات أيضاً بالإضافة إلى وجود سبع قارات على الأرض . سيتم مناقشة موضوع سبعة محيطات لاحقاً في هذا المقال .

ما هي القارات السبع ؟

يتفق الجغرافيون على التعريف الفني للقارات ، ولكن يوجد خلاف واسع بينهم حول الكتلة الأرضية التي يجب الاعتراف بها كقارة ، وأيها يجب اعتبارها جزيرةً . لذلك توجد اختلافات وتناقضات كبيرة بينهما في هذا الشأن . على سبيل المثال ، في أمريكا اللاتينية وبعض البلدان الأوروبية ، يتم التعرف على ست قارات فقط ، وهي : آسيا وأمريكا (الشمالية والجنوبية كقارة واحدة) وأوروبا وإفريقيا وأستراليا وأنتاركتيكا . أي أنهم يعتبرون أمريكا الشمالية والجنوبية قارةً واحدةً .

على النقيض من ذلك ، هناك ست قارات معترف بها أيضاً في أوروبا الشرقية وروسيا واليابان ، لكن قائمة القارات الخاصة بهم تختلف عن القائمة السابقة ، وهي : أوراسيا (آسيا وأوروبا) ، وأفريقيا ، وأمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، وأستراليا ، وأنتاركتيكا . أي أن أوروبا لم يتم الاعتراف بها كقارة منفصلة بالنسبة لهم ، لكنها تعتبر جزءاً من آسيا نفسها . هذا الرأي صحيح من الناحية الفنية ، لأن أوروبا ليست قارة مستقلة . بل إنها مرتبطة جغرافياً بآسيا ، وهي في الواقع شبه جزيرة من آسيا نفسها . يسمى هذا الجزء المشترك من آسيا وأوروبا أوراسيا . على عكس هذين ، تعترف أوروبا الغربية والصين والدول الناطقة باللغة الإنجليزية ، بما في ذلك الهند ، بسبع قارات هي كما يلي : آسيا ، وأوروبا ، وأفريقيا ، وأمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، وأستراليا ، وأنتاركتيكا . إن أحد الأسباب الرئيسية لهذا الخلاف حول تحديد القارات هو المصالح السياسية والمنافسة الإقليمية .

على الرغم من هذا الاختلاف فيما يتعلق بعدد القارات من وجهة نظر سياسية ، فإن التحليل الجغرافي والفني البحت سيكشف أن أمريكا الشمالية والجنوبية هما في الواقع قارتان منفصلتان . إن أوروبا ، على النقيض من ذلك ، ليست قارة ، لكنها شبه جزيرة من القارة الآسيوية ، تماماً مثل شبه الجزيرة العربية .

“Technically, Europe is not a continent, but a peninsula of Asia. It is part of what may be called the Eurasian continent, which has a total area of about ٥٤ million square kilometers”.

" من الناحية الفنية ، أوروبا ليست قارة ، ولكنها شبه جزيرة من آسيا . وهي جزء مما يمكن تسميته بالقارة الأوراسية ، والتي تبلغ مساحتها الإجمالية حوالي ٥٤ مليون كيلومتر مربع "[١] .

إذا تم استبعاد أوروبا تقنياً من كونها قارة منفصلة وإذا كانت تعتبر جزءاً من القارة الآسيوية ، فستبقى ست قارات فقط من الناحية الفنية في قائمة القارات ، وهي : أوراسيا (آسيا وأوروبا) ، وأفريقيا ،

[١] Oceanography, P. ٥٣

وأمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، وأستراليا ، وأنتاركتيكا (القارة القطبية الجنوبية) . إذن في هذه الحالة ، ما هي القارة السابعة التي يمكن أن تعتبر الأرض السابعة المذكورة في الأحاديث ؟

بغض النظر عن هذا التقسيم السياسي للقارات ، إذا نظرنا إلى الأرض ، وعلى الرغم من استبعاد أوروبا من قائمة القارات ، سنرى مساحةً أخرى كبيرةً وغير منقطعة على الأرض ، تسمى غرينلاند . إن غرينلاند ليست قارةً ولا دولةً منفصلةً وفقاً للتقسيم السياسي الحالي ، لكنها تعتبر مقاطعةً من الدنمارك . ومع ذلك ، فإن مساحتها شاسعة لدرجة أن الخبراء غير قادرين على فهم سبب عدم إدراجها في قائمة القارات ، ولهذا السبب يعتبرون التقسيم الحالي للقارات أمراً مثيراً للجدل :

"A continent is defined as a large continuous area of land. The vague thing about these definitions is the word large. Why is Australia (about ٧ .٧ million sq . km or ٣ million sq . mi) regarded as a continent and Greenland (about ٢ million sq . km, or ٠ .٨ million sq . mi) as an island? . . . . . Names, it seems, are sometimes arbitrary. Yet, through common usage over the centuries, names become fixed in the language."

" تُعرّف القارة بأنها مساحة كبيرة ومستمرة وغير منقطعة من الأرض . الشيئ الغامض في هذه التعريفات هو كلمة " كبير " . لماذا تعتبر أستراليا (حوالي ٧,٧ مليون كيلومتر مربع أو ٣ ملايين ميل مربع) قارةً وغرينلاند (حوالي ٢ مليون كيلومتر مربع أو ٨,٠ مليون ميل مربع) كجزيرة ؟ . . . . . يبدو أن الأسماء في بعض الأحيان قابلة للنقاش . ومع ذلك ، من خلال الاستخدام الشائع على مر القرون ، قد حدد استخدامها في اللغة " [١] .

توضح المناقشة أعلاه حول القارات أن التقسيم الحالي للقارات ذو دوافع سياسية ومثير للجدل بدلاً من أن يكون تقنياً . على الرغم من أن

---

[١] Ibid

القارات السبع المذكورة في الحديث يمكن تطبيقها على القارات السبع السياسية الحالية ، ومع ذلك ، من وجهة نظر فنية بحتة ، يمكن إثبات وجود سبع قارات على الأرض بشكل لا لبس فيه ، وهي على النحو التالي : أوراسيا (آسيا وأوروبا) وأفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا وأنتاركتيكا (القارة القطبية الجنوبية) وغرينلاند . يمكن رؤية تفاصيل هذه القارات السبع جنباً إلى جنب مع القارات المثيرة للجدل في الجدول أدناه :

الرقم	القارة	المساحة (كم مربع)	عدد السكان
١	أوراسيا (آسيا وأوروبا)	٥٤،٢١٠،٠٠٠	٥،٣٨٨،٦٩٠،٨٠١
٢	أفريقيا	٣٠،٣٧٠،٠٠٠	١،٣٤٠،٥٩٨،١٤٧
٣	أمريكا الشمالية	٢٤،٤٩٠،٠٠٠	٥٩٢،٠٧٢،٢١٢
٤	أمريكا الجنوبية	١٧،٨٤٠،٠٠٠	٤٣٠،٧٥٩،٧٦٦
٥	أنتاركتيكا	١٣،٧٢٠،٠٠٠	٠
٦	أستراليا	٨،٤٧٠،٠٠٠	٤٣،١١١،٧٠٤
٧	غرينلاند	٢،١٦٦،٠٨٦	٥٦،٠٨١
٨	آسيا	٤٣،٨١٠،٠٠٠	٤،٦٤١،٠٥٤،٧٧٥
٩	أوروبا	١٠،٤٠٠،٠٠٠	٧٤٧،٦٣٦،٠٢٦
١٠	أمريكا (الشمالية والجنوبية)	٤٢،٣٣٠،٠٠٠	١،٠٢٢،٨٣١،٩٧٨

الجدول ١ : القائمة الكاملة للقارات (المتفق عليها والمثيرة للجدل) ومساحاتها مع سكانها

كما يوضح الجدول أعلاه ، هناك تباين كبير في حجم قارات الأرض . آسيا ، على سبيل المثال ، أكبر بخمس مرات من أستراليا . تعد غرينلاند ، التي تعتبر أكبر جزيرة في العالم ، أصغر بأربع مرات فقط من القارة

الأســترالية . إن الاختلافــات الموجــودة في مختلــف البلــدان فيمــا يتعلــق بالاعتراف بهذه الكتل الأرضية كقارات تظهر في الجدول أدناه :

الدول	القارات المعترف بها						
٧ قارات : (معترف بها في أوروبا الغربية والصين والدول الناطقة باللغة الإنجليزية)	أنتار كتيكا	أستراليا	أفريقيا	أمريكا الشمالية	أمريكا الجنوبية	آسيا	أوروبا
٦ قارات : (معترف بها في أمريكا اللاتينية وبعض الدول الأوروبية)	أنتار كتيكا	أستراليا	أفريقيا	أمريكا (الشمالية والجنوبية)		آسيا	أوروبا
٦ قارات : (معترف بها في أوروبا الشرقية وروسيا واليابان)	أنتار كتيكا	أستراليا	أفريقيا	أمريكا الشمالية	أمريكا الجنوبية	أوراسيا (آسيا وأوروبا)	
٧ قارات : (حسب التعريف الفني للجغرافيا الذي تدعمه الأحاديث أيضاً)	أنتار كتيكا	أستراليا	أفريقيا	أمريكا الشمالية	أمريكا الجنوبية	أوراسيا (آسيا وأوروبا)	غرينلاند

الجدول ٢ : في أي دول العالم ، أي أجزاء من اليابسة تعتبر قارات

باختصار ، بغض النظر عن التقسيم الحالي للقارات ، فإن تعريفها في الأحاديث هو تعريف تقني بحت من وجهة نظر جغرافية . هكذا ، فإن القارات الفنية السبع تدل عليها الأحاديث . لذلك ، فإن

تعريفها في الأحاديث علمي وتقني ، بينما الأشكال الحالية المقبولة للقارات سياسية ومثيرة للجدل . يعرض الشكل ٤ أشكال ومواقع القارات السبع .

الشكل ٤: خريطة العالم الجديد التي تظهر سبع قارات وسبع محيطات على كوكب الأرض

الإعجاز العلمي للأحاديث :

من الدراسة المقارنة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المختلفة المتعلقة بالجغرافيا وطبقات الأرض ، تبين أن هناك انسجاماً وتوافقاً تاماً بينها وبين الأبحاث والاكتشافات العلمية الحديثة . تثبت هذه النصوص الحقائق الجغرافية التي تعود إلى القرن العشرين بينما بعضها من الماضي القريب جداً . إن كل هذه الحقائق تشير إلى صحة وموثوقية الوحي الإلهي وتجعلنا نعتقد أن المعرفة ليست هي الوحيدة التي يتم الحصول عليها من خلال الحواس ، ولكن يوجد هناك مصدر آخر للمعرفة ، وهو الوحي الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام . فإن العلم الحديث نفسه يدعم مصدر المعرفة هذا من خلال أبحاثه واكتشافاته وابتكاراته العديدة .

المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر : دراسة تحليلية

د . ضياء القمر آدم علي التيمي *

المدخل : التذكير والتأنيث من القضايا الشائكة في اللغة العربية ؛ التي اعتنى بها الباحثون قديماً وحديثاً عنايةً تفوق عنايتهم بأي ظاهرة لغوية ؛ فقلما نجد لغوياً من القدامى إلا وأفرد لهذه المسألة كتاباً خاصّاً أو رسالةً خاصةً ، وكذلك اهتم الباحثون بهذه المسألة ، فحقَّقوا الكتب الخاصة بها .

وانطلاقاً من هذا نرى علماء شبه القارة الهندية أيضاً قد بذلوا في الاهتمام بهذه المسألة جهوداً لا تقل عن جهود العلماء العرب ؛ فبعضهم تعرض لها في ثنايا كتبهم الصرفية والنحوية ، وبعضهم أفرد لها كتاباً مستقلاً ، ومن أبرز الكتب المستقلة في هذا الباب ما ألفه العالم اللغوي الهندي ذو الفقار أحمد المالوي ؛ وهو ما يسمى بـ " المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر " .

وهذا البحث سيحاول الكشف عن الكتاب ؛ متناولاً عدة نقاط تالية :

الأولى : تعريف بالمؤلف

الثانية : تعريف بالكتاب

الثالثة : منهج المؤلف في الكتاب

الرابعة : قيمة الكتاب العلمية

تعريف بالمؤلف :

صاحب الكتاب هو : العالم الفاضل ذو الفقار أحمد بن همت علي بن شاه ولي بن شاه عالم الحسيني النقوي السارنكبوري ، ثم البهوبالي المالوي .

هو وُلد في صفر سنة ١٢٦٢هـ بمدينة بهوبال ، وقرأ العلم على

* أستاذ بالجامعة المحمدية منصوره ، ماليغاون ، مهاراشترا ، الهند .

المولوي عبد الله ، والمولوي جان محمد ، والمفتي أحمد كل ، والحكيم معز الدين ، والعلامة عبد الحق بن محمد أعظم الكابلي ، وحسين بن محسن السبعي الأنصاري ، والشيخ المحدث عبدالقيوم بن عبد الحي الصديقي البرهانوي ، وعلى غيرهم من العلماء في بهوبال ، ووفق للحج والزيارة مرتين ، وأدرك كبار المشايخ بمكة المكرمة ، وأخذ عنهم كالشيخ المهاجر يعقوب بن محمد أفضل العمري الدهلوي ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن الأنصاري السهارنبوري ، والسيد شريف محمد بن ناصر الحازمي ، والسيد أحمد بن زيني دحلان الشافعي المكي ؛ فبلغ من العلم والكمال مبلغ الرجال ، وقربه نواب صديق حسن القنوجي إلى نفسه ، وأدناه وأهله بالعناية والقبول ، وكان يحبه حباً مفرطاً .

وكان الفاضل لغوياً بارعاً يتقن اللغة العربية إتقاناً ، حمله على تأليف هذا الكتاب الشهير " المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر " ؛ كما حمله على قرض الأبيات الرقيقة الرائقة بالعربية ؛ منها قوله في دار بناها ملكة بهوبال :

لله دار ما أجل بناءها ... أكرم بها من منزل معطار
تلك القناديل التي فيها ترى ... شهب السماء تلوح للأنظار
منها نفائس ما رأت عين ولا ... سمعت بها أذن مدى الأعصار

ومن مؤلفاته – أيضاً : " طي الفراسخ في منازل البرازخ " ، و " الروض الممطر في تراجم علماء شرح الصدور " ، و " محاسن المحسنين في حكايات الصالحين " .

وتوفي سنة ١٣٤٠هـ ببلدة بهوبال [١] .

تعريف بالكتاب :

هذا الكتاب الذي نحن بصدده هو كتاب سماه المؤلف في مقدمته : " المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر " ؛ حيث يقول : " . . . أهديت هذه المقالة المحتوية على كل سلالة وجلالة ، وقد سميتها : " المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر " إلى من يعرف قدرها ، ويعرف شمسها وبدرها . . . " [٢] ، وكذلك اتفقت على هذا الاسم جميع كتب التراجم

---

[١] نزهة النواظر ، ١٢٢٥/٨.

[٢] ينظر : مقدمة الكتاب ، ص ٢ .

لحياة المؤلف ، غير أن بعض الباحثين سماه بـ " المعجم المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر " بزيادة كلمة (المعجم) [1] ، ولم أظفر بالعثور على هذا الاسم في مصدر من المصادر التي تعرضت لترجمة المؤلف ، ولم أدرِ أنى لهم هذا الاسم ؟

والكتاب طُبع بالمطبعة الشاهجانية في بهوبال سنة ١٢٩٧هـ ؛ وهو يقع في (٦١٠) صفحة ، وفي ص ٥٨١ مصادر الكتاب ، وهي (٧٩) مصدراً ، ومن أهم المصادر التي استقى منها المؤلف ، واعتمد عليها كمصادر أساسية ما يأتي :

أنوار التنزيل للبيضاوي ، بدائع الفوائد لابن القيم ، الإيضاح في علم النكاح للسيوطي ، تاج العروس للزبيدي ، درة الغواص للحريري ، رسالة الكوع والكرسوع للزبيدي ، حياة الحيوان الكبرى للدميري ، الكليات للكفوي ، المعرب للجواليقي ، الكامل للمبرد ، المزهر للسيوطي ، نفائس اللغات للبلجرامي ، لف القماط للقنوجي ، نيل الأوطار للشوكاني ، وغيرها كثير .

إن الكتاب – كما يشير إليه عنوانه – يعالج أحد أبواب الصرف الغامضة في مسألة التذكير والتأنيث ، ويعرض لها ضوابط وقواعد تساعد على تخفيف الغموض ، وهو من نوادر ما ألف في المؤنثات السماعية .

منهج المؤلف في الكتاب :

(أ) بدأ المؤلف كتابه هذا بتمهيد ؛ أثنى فيه الله عز وجل ، وصلى على النبي المصطفى أفضل الصلوات وأزكى السلام عليه اقتداءً بالسلف الصالح بأسلوب مسجوع ؛ حيث قال : " الحمد لله على نعمه ؛ التي لا تفنى من معادن الوجود جواهرُها ، ولا تُزوى من خمائل الرَّحموت بواطنها وظواهرها ، حمداً يطوق رقابَ الأمم نظيم عقوده ، والصلاة والسلام على سيِّد مَن في الأكوان ، وطراز حلة الحدوث والإمكان محمدٍ المصطفى من ولد عدنان ، وأحمد المجتبى في حضرة الرحمن ، وعلى آله وصحبه ملوك أسرة الإيمان ، وسلاطين ممالك الجنان ، لا زالت سحب الرحمة هطالة على مراقدهم ، وسجايا

[1] ينظر : الرابط : www.goodreads.com

الرضا مهيمنة على معاهدهم ، أمَّا بعد . . . " [1] .

(ب) عَقَدَ لكل موضوع من موضوعات الكتاب فصلاً ، ثم ذَكَر تحته ما يتعلق به من المواد العلمية ، غير أنه – في بعض المواضع – بالغ في ذلك ؛ حيث عقد فصولاً تحت فصل ؛ وذلك كما في فصل المؤنث الحقيقي واللفظي ، ثم قسم المؤنثات إلى قياسية وسماعية ؛ أما السماعية فرتبها على حروف الهجاء ؛ فذكر : الآل ، والأرنب ، وعندما وصل إلى كلمة : الخمر ، عقد لها عدة فصول ؛ حيث قال : " والأعرف في الخمر : التأنيث ؛ وفيها فصول : فصل في أصل الخمر ، وأول من اعتصرها ، وما السبب في ذلك ، فصل في ذكر معناها اللغوي والشرعي وبيان تحريمها ، فصل في ذكر أسمائها ، فصل في ذم الخمر والتنفير عنها " [2] .

(ج) عرَّف بالمصطلحات ذات الصلة بالموضوع ، تمثل لها بأمثلة ؛ وهذا أسلوب عام يُرى في الكتاب كله ، ومن أمثلة ذلك قوله : " المؤنث ما فيه علامة التأنيث لفظاً حقيقةً ؛ كامرأة وظلمة ، أو حكماً ؛ كزينب وعقرب " [3] .

وقوله : " الإلحاق أن تزيد في مقابلة حرف أصلي في كلمة أخرى ؛ حتى تصير مساويةً لها في الحركات والسكنات ، بشرط أن يكون المزيد فيها – في جميع تصاريفها – مثلَ المُلحَق بها ، ومقصودهم الأهم في ذلك إقامة الوزن ، أو السجع ، أو غير ذلك من الأغراض اللفظية ، وليس المقصود اختلافَ المعنى ؛ بل يجوز أن يختلف وأن لا يختلف ، ويجوز أن لا يكون للكلمة – قبل الزيادة فيها للإلحاق – معنى ؛ كجَيْئَل وزينب ؛ فنحو : قطَّع ويقطِّع ، وأقْبل يُقبل ، وقاتَل يقاتِل ليس بملحق بـ " دحرج يدحرج " ؛ لمُخالفة مصدرها لمصدره " [4] .

(د) يلاحَظ أن المؤلف – كثيراً ما – يأتي بكلمة (قِفْ) بعد أن ذكرَ القاعدة أو المسألة ؛ وهو يشير بذلك إلى نقطة ذات أهمية وشأن ، ومن الأمثلة على ذلك قوله في تاء التَّأنيث : " وهي في الاسم أصل ، وما في

---

[1] مقدمة الكتاب ، ص ٢ .

[2] المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر ، ص ٦٦ .

[3] نفسه : ١١ .

[4] نفسه : ١٦ – ١٧ .

الفعل فرعه ؛ لأنه يلحق الفعل لتأنيث الاسم ؛ أي فاعله ، . . وتجيئ التاء لأحد عشر معنى . . . قف . الأصل في الصِّفات – كما ذكر – أن يفرق بين مذكرها ومؤنثها بالتاء ، ويغلب في الصفات المختصة بالإناث الكائنة على وزن : فاعل ومُفْعِل أن لا يلحقها التاء إن لم يقصد فيها معنى الحدوث ؛ كحائض ، وطالق ، وطامث ، ومُرْضِع ، ومُطفِل . . . [1] .

(٥) اعتنى ببيان معاني الألفاظ الغريبة ، ومن الأمثلة على ذلك قوله : " فِعْلَى – بكسر الأول وسكون الثاني ، ويكون مصدراً ؛ نحو : ذِكْرَى ، وجمعاً ؛ نحو : حِجْلَى – بحاء مهملة فجيم ، وظِرْبَي – بظاء معجمة فراء موحَّدة : جمع حَجَلَةٍ – بفتحات : اسم طائر ، وظَرِبَان علَ وزن : قَطِرَان ؛ وهي دُويبة تشبه الهرة مُنتِنَة الفسْو ، ولا ثالث لهما في الجمع ؛ فإن كان فِعْلَى غير مصدر أو جمع لم يتعين كون ألفه للتأنيث ؛ بل إن لم ينون في التنكير فهي للتأنيث ؛ نحو : ضيزى – بتحتيَّةٍ بعد الضَّاد المعجمة ، أو بهمزة ، ويثلَّث أوله إذا هُمِز أفاده في : " القاموس " ؛ وهو القسمة الجائرة ، والشِّيزَى – بشين معجمة فتَحْتيَّة فزَاءٍ – وهو خشب تصنع منه الجفان ، والدِّفْلَى – بدال مهملة ففاءٍ فلامٍ – قال الأُشموني : وهو شجر ، في " القاموس " : وهو نبتٌ " [2] .

منهجه في ذكر المسائل الخلافية :

أشار المؤلف – في أثناء تناوله المسائل والقضايا – إلى الخلاف بين العلماء ، وله في ذلك طرق مختلفة ؛ أهمها ما يأتي :

(أ) يذكر آراء العلماء في مسألة خلافية ، ولا يذكر ما هو الراجح منها ، ولا يُبدي رأياً له فيها ، وهذا أقل ، ومن أمثلة ذلك قوله : " الجَراد – بالراء والدال المهملتين كسحاب – مؤنثة . قاله المُلا محمد باقر ، وقال الشيخ عبد الرحيم : (ويذكر) . وقال المجد : (للذكر والأنثى) . وقال الجوهري : (الواحدة جرادة ، تقع على الذكر والأنثى ، وليس الجراد بمذكر للجرادة ؛ وإنما هو اسم جنس ؛ كالبقر والبقرة وما أشبه ذلك ، فحق مذكره أن لا يكون مؤنثه من لفظه ؛ لئلا يلتبس الواحد المذكر بالجمع) . وفي " المصباح " : " وقد تدخل التاء لتحقيق

---

[1] نفسه : ١١ .

[2] نفسه : ١٩ .

التأنيث ، ومن كلامهم : رأيت جراداً على جرادة " [1] .

(ب) ذكره آراء العلماء في مسألة ، وذكره ما هو الراجح عنده ؛ وهذا أكثر ، ومن الأمثلة على ذلك : " وقد اختلف في مد المقصور اضطراراً ؛ فمنعه جمهور البصريين مطلقاً ، وأجازه جمهور الكوفيين مطلقاً . وفصَّل الفراء ؛ فأجاز مدَّ ما لا يخرجه المدُّ إلى ما ليس في أبنيتهم ، فيجيز مدَّ مِقْلَى – بكسر الميم ؛ فيقول : مِقلاء ؛ لوجود : مفتاح ، ويمنع مدُّ : مَوْلَى ؛ لعدم مَفْعَال – بفتح الميم ، وكذا يُمَدُّ : لِحَى – بكسر اللام ، فيقول : لِحَاء ؛ لوجود : جبال ، ويمنعه في : لُحَيٍ – بضم اللام ؛ لأنه ليس في أبنية الجموع إلا نادراً ، والظاهر جوازه مطلقاً ؛ لوروده في كلام العرب ، وممن وافق الكوفيين على جواز ذلك ابن ولاد وابن خروف " [2] .

منهجه في عرضه للأدلة السماعية :

استشهد المؤلِّف بالأدلة السماعية والحديث وكلام العرب – في أثناء تناوله القضايا والأحكام ، وفي عرضه تلك الأدلة اتَّخذ طرقاً مختلفة .

أمَّا القرآن الكريم فهو لا يذكر من آياتها برمتها ، وإنما يسوق منها الجزء ؛ الذي يستشهد بها مسبوقاً بقوله : (قوله تعالى) أو (في القرآن الكريم ، أو في التنزيل) ، ومن أمثلة ذلك قوله :

" الوراء – بالراء المهملة والمد – كسَحَاب : كلمة مؤنثة تكون خلفاً ، وتكون قداماً ، وأكثر ما يكون ذلك في الْمواقيت من الأيام والليالي ؛ لأن الوقت يأتي بعد مضي الإنسان ؛ فيكون وراءه ، وإن أدركه الإنسان كان قدَّامَه ، ويقال : وراءك برد شديد ، وقُدَّامَك برد شديد ؛ لأنه شيئ يأتي ؛ فهو وراء الإنسان على تقدير لحوقه بالإنسان ؛ وهو بين يدي الإنسان على تقدير لحوق الإنسان به ؛ فلذلك جاز الوجهان ، واستعمالها في الأماكن سائغ على هذا التأويل ، وفي التَّنزيل : (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ) [3] ؛ أي : أمامهم . . . وقال تعالى : (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ) [4] ؛ أي : بين يديه [1] .

---

[1] نفسه : ٥٧ .

[2] نفسه : ٣٤ .

[3] سورة الكهف : الآية : ٧٩ .

[4] سورة إبراهيم : الآية : ١٧ .

أمَّا الحديث النَّبوي ؛ فقد عرضه المؤلف في أسلوبين : يذكره معزواً إلى مصدره ؛ وهذا أكثر وأغلب ، وغير معزوّ إلى مصدره ؛ وهذا أقل ، ومن الأمثلة على ذلك : " . . . وفي " المصباح " : الأَرنَب أنثى ؛ تقع على الذكر والأنثى ، وفي لغةٍ تؤنَّث بالهاء ؛ فيقال : أرنبة للذكر والأنثى – أيضاً . وقال أبو حاتم : يقال للأنثى : أرنب ، وللذكر : خُزَزٌ ، وجمعه : خِزَّانٌ ، وفي أبي داودَ : " أنَّ رَجُلاً جَاءَ بَأَرْنَبٍ قَدْ صَادَهَا " [٢] إلى آخر الحديث " [٣] .

وقوله : " الضِّلَع – كعِنَب وجِذْع – معروفة مؤنثة ، ج أضلعٌ وضلُوعٌ ، وأضْلاعٌ ، كذا في : " القاموس " ، وفي " المصباح " : الضِّلَع : من الحيوان – بكسر الضاد ، وأما اللام فتفتح في لغة الحجاز ، وتسكن في لغة بني تميم ؛ وهي أنثى ، وهي عظام الجنين ، وقال في " تاج العروس " : شاهد الأول قول الشاعر أنشده ابن فارس :

هِيَ الضِّلَعُ الْعَوْجَاءُ لَسْتَ تُقِيمُهَا ألا أنَّ تَقْوِيمَ الضُّلُوعِ انكِسَارُهَا [٤]

قلت : وهو قول حاجب بن ذبيان ؛ ومنه الحديث : " أن المَرأةَ خلقتْ من ضلع ، وأنَّ أعوجَ ما في الضلع أعلاها ، فإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وإن تركتَها استمتعت بها " [٥] .

أمَّا الأبيات الشعرية فقد اتخذ لعرضها طرقاً مختلفةً ؛ منها ما يأتي :

(أ) يذكرها غير معزوة إلى قائليها مسبوقةً بقوله : (قال الشاعر) ، أو (قال بعضهم) ، ومن أمثلة ذلك قوله : " حِلاقِ – بالقاف كقِطَام : اسم للمنيَّة ؛ مثل : قطام ؛ بنيت على الكسر ؛ لأنه حصل فيها العدل والتَّأنيث والصفة الغالبة ؛ وهي معدولة عن : حالقة ؛ ومنه قول الشاعر :

لَحِقَتْ حِلاقِ بِهِمْ عَلَى أَكْسَائِهِمْ ضَرْبَ الرِّقَابِ وَلا يُهِمُّ الْمَغْنَمُ [٦]

---

[١] المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر ، ١٩٤ – ١٩٥ .

[٢] سنن أبي داود ، ٣٥٢/٣ ، كتاب الأطعمة ، بابٌ في أكل الأرنب ، رقم (٣٧٩٢) .

[٣] المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر : ٣٩ .

[٤] البيت من الطويل ، في عيون الأخبار ، ٧٧/٤ ، ولسان العرب ، ٢٢٦/٨ .

[٥] المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر ، ٥٩ . والحديث رواه مسلم في صحيحه ، ١٠٩٠/٢ ، رقم (١٤٦٨) .

[٦] نفسه ، ٩٤ . والبيت من الكامل ، للأخزم السَّنبسيّ في الكتاب ، ٣٨/٢ ، والمقتضب ، ٣٧٢/٣ .

(ب) يذكرها معزوةً إلى قائليها ، وهذا أغلب وأكثر إذا ما قيس بما سبق ، ومن أمثلة ذلك قوله : " البِكْر – بكسر الباء وسكون الكاف : الكرم ، حمل أول مرَّة ، كذا في " القاموس " ، والخمر ، قال ابن النَّبيه :

بِكْرٌ جَلاهَا أَبُوهَا قَبْلَ مَا جُلِيَتْ فِي حُجْرَةِ الدَّنِّ أَوْ فِي قِشْرَةِ الْعِنَبِ [1]

(ج) يذكر – أحياناً – الأبيات الشعرية كاملةً ، ويذكر – أخرى – الجزء ؛ الذي فيه شاهد ؛ سواء أكان صدر البيت أو عجزه ، ومن أمثلة ذلك قوله : " تاء التأنيث قد تدخل الحرف ؛ كـرُبَّتْ إذا كان المجرور بها مؤنثاً ؛ قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهَا : أَصَبْتِ حَصَاةَ قَلْبِي وَرُبَّتَ رَمْيَةٍ مِن غَيْرِ رَامِ [2]

وقد جاء :

يَا صَاحِبَا رُبَّتَ إِنْسَانٍ حَسَنْ [3]

قيمة الكتاب العلمية :

اشتمل هذا الكتاب على مزايا يمكن إجمالها فيما يأتي :

(١) يعد الكتاب موسوعةً صغيرةً في بابه ؛ حيث جمع المؤلف فيه بين آراء المتقدمين والمتأخرين ، والمعاصرين له ؛ من علماء العرب عامةً وعلماء شبه القارة الهندية خاصةً ؛ مع عدم الانحياز إلى مذهب معين .

(٢) يكتظ الكتاب بالشواهد من الآيات القرآنية والحديثية ، وبالأبيات الشعرية وأقوال العرب وأمثالهم اكتظاظاً جعله أقرب إلى كتاب شعر وديوانه .

(٣) تبرز أهميته بحيث إن المؤلف نقل الآراء عن بعض الكتب التي ما زالت مفقودةً ، أو عن مخطوطات قديمة لم يتم بحثها وتحقيقها حتى الآن .

(٤) كثرة مصادر الكتاب وتنوعها ؛ من مصادر نحوية ، وبلاغية ، وإعرابية ، ولغوية ، تاريخية ، وحديثية وغيرها ، وقد أشرت إليها في

---

[1] نفسه : ٩٤ . البيت من البسيط في ديوانه ، ١٠ .

[2] البيت من الوافر ، لمحمَّد بن حبيب في مجمع الأمثال ، ٢٨٠/٢ .

[3] نفسه : ٦ . والبيت في خزانة الأدب ، ٤٢٢/٧ .

معرض كلامي عن مصادر الكتاب التي استتقى منها المؤلف مادته العلمية .

(٥) شرحه لكثير من الكلمات الغريبة شرحاً لغوياً ؛ بالرجوع إلى معاجم معتمدة ؛ كالصحاح ،والمصباح ، والقاموس المحيط ، وضبط ما يحتاج إلى ضبط ؛ حرصاً على سلامة النص من التحريف والتصحيف .

(٦) حاول المؤلف استيعاب الأقوال المأثورة عن العلماء اللغويين في المسائل المقصودة ؛ فلا يورد شيئاً يحتاج إلى بيان إلا وتعرض له بالشرح والتفصيل ، ولا سيما في مسائل الخلاف .

(٧) اشتمال الكتاب على تعليقات مفيدة ، وتعليلات دقيقة تشحذ أذهان القراء .

(٨) ظهور شخصية المؤلف في هذا الكتاب ؛ فهو : يناقش ، ويقرر ، ويعترض ، ويرجح ويستفهم ، ويجيب ،ولا يصدر مثل هذه الأمور إلا من مؤلف يتمتع بالفكرة الواسعة والاطلاع التام .

كل هذا يندرج تحت مزايا الكتاب ، ويسجل في خصائصه ، والله أعلم .

وهناك ملاحظات وتعقيبات بعد دراسة الكتاب ، وهي على ما يأتي :

(١) يلحظ القارئ أن المؤلف قد استشهد بكلام الشعراء المولدين الذين لا يحتج بهم ، ولا شك أن الاحتجاج بكلام المتأخرين لا يعتد به في إثبات القواعد النحوية والصرفية .

(٢) يلاحظ في الشرح أن المؤلف قد أكثر من النقل عن العلماء المتقدمين والمتأخرين ، حتى لا نكاد نجد صفحةً خاليةً منه .

(٣) الإكثار من الشواهد من الأبيات الشعرية التي جعلت الكتاب أقرب إلى كتاب شعر أو شبهه .

هذه بعض الهنات ، وما ذكرته من المآخذ لا يقدح في قيمة الكتاب العلمية ؛ لما يحمل في طيه من فوائد جمة ومزايا عديدة .

وبناءً على احتواء الكتاب على هذه الفوائد الجمة والمميزات الفريدة ، فإنه حري به أن يخرج من عالمه المجهول إلى عالمه المعروف ؛ وذلك ببحثه وتحقيقه وتحليته بحلى جديدة أنيقة . وجزى الله من يعتني به أحسن الجزاء .

دراسة تاريخية لفلسطين

الدكتور محمد سليم أختر*

قد شرفت فلسطين بقلب العالم العربي من حيث الموقع الجغرافي ، وبالمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، والرسل المبعوثين إلى الأمم . كما ظلت موضع اهتمام من كل عربي ومحبٍ للعدلٍ ، حيث إنها نقطة الصراع بين العرب وإسرائيل . واحتلت مكانةً عظيمةً بين الدول العالمية الأخرى بما لديها من المصادر الاقتصادية والتجارية والدينية ، وثلاثة بُحيرات تاريخية ، والآثار التاريخية حتى أصبحت مقدسةً بترابها ، معتزةً بتاريخها ، زاهيةً بإيحاءاتها ، منفردةً بمن عاش فيها من محدثين وفقهاء ، ومات فيها من أولياء ، ومن أيقظ الناس من سباتهم العميق من شعراء وأدباء وكتاب .

وكانت فلسطين جزءاً من بلاد الشام ، وهي تمثل الجزء الجنوبي الغربي فيها [١] ، وتقع في الغرب من قارة آسيا [٢] ، وتتوسط مفارق الطرق بين آسيا وإفريقيا وأوروبا ، ويحدها غرباً البحر الأبيض المتوسط ، وفي الشرق سوريا والأردن ، ومن الشمال سوريا ولبنان ، ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة [٣] .

وتبلغ مساحتها ١٠٢٨٢ ميلاً مربعاً ، وهي تعادل ثلث الشام الممتدة من جبال طوروس إلى رفح ، ومن البادية إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط . كما يوجد فيها ثلاث بحيرات تاريخية ، وهي بحيرة طبرية ، وبحيرة الحولة ، وبحيرة لوط " البحر الميت " . كما تبلغ مساحتها حوالي ٧٠٤ كليومتر [٤] .

وتشهد الدراسات التاريخية والحفريات الأثرية على أن فلسطين

---

* رئيس قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية بتنة التابعة لجامعة بتنة – بتنة .

[١] النحال محمد سلامة (الدكتور) : فلسطين أرض وتاريخ ، ص ٢٦ .

[٢] الكيالي عبد الوهاب (الدكتور) : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ١١ .

[٣] أبو شاور سعدي : تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ١١ .

[٤] سلمان محمد (الدكتور) : فلسطين في الشعر المصري ، ص ١٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231
E-Mail: albaas1955@gmail.com

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس :٠٥٢٢- ٢٧٨٧٧١٠

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظهالله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة:"البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٦٩/عاماً بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السبعين ـ والحمد لله ـ ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS, A/C No. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي"مؤسسةالصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 70 Issues. No.03 March 2024

إصدارات حديثة

شرح كتابي "بدء الوحي " و " الإيمان " من صحيح البخاري

اعتنى به

د. أبو سحبان روح القدس الندوي

أستاذ قسم التخصص في علوم الحديث بدار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ

الناشر

مؤسسة القدس لخدمة الحديث وعلومه لكناؤ(الهند)

Mob: 9935617217 E-mail:abusahban@gmail.com

جائحة كورونا : قضايا وحلول

(مجموعة مقالتين قُدمتا بمناسبة المؤتمر الرابع حول جائحة كورونا عام ٢٠٢٢م)

إعداد

رحمة الله الندوي

أستاذ الفقه الإسلامي بدار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ

الناشر

مجمع البحوث والدراسات الشرعية

ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند)

hariahacademynadwa@gmail.com

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI